مُحمد خَالد رِزق

الشبه الأسود

رواية

تشكيل للنشر والتوزيع

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

الفصل الأول

الوقت الحاضر يوم العملية

يناير ٢٠١٤ م - ٠٨:٠٠ صباحًا

على أطراف إحدى المدن الهادئة بمحافظة الجيزة، في شارع رئيسي على جانبيه مجموعة من العقارات التي تختلط فيها البنايات القديمة بالحديثة،تُظهر البنايات المرصوصة بعشوائية الفارق المادي بين كل مالك وآخر، في شقة متوسطة المساحة تحمل رقم ثلاثة في الدور الثاني، يستيقظ عمار من نومه على صوت المنبه، يتحسس بيده مكانه في عصبية ليوقفه عن هذا الضجيج.

إنه لم يحصل على نوم هادئ تلك الليلة على أية حال..

فبداخل رأسه تُجرى نقاشات حادة، أصوات تنهمر كشلال ماء كاد يولد الكهرباء من شدة اندفاعه..

سيُجري جراحة في قرنية عينه اليوم ليستعيد بصره مرة أخرى بعدما تخلى عنه بإرادته منذ شهور قليلة مضت..

لقد أصبح حديث الساعة بسبب هذه الخطوة التي رآها البعض جنونية..

أخذ اسمه يتصدرعناوين بعض الصحف والبرامج التليفزيونية لأسابيع..

في مانشيتات مثل..

_ الشاب المجنون الذي تنازل عن بصره..

_ التصريح الأول لوسائل الإعلام من الشاب عمار يقول فيه..

لقد فعلت ذلك بكامل إرادتي، لا أريد أن أرى شيئًا..

_ البعض يتساءل ما حكم الدين فيما فعله عمار حمدي، أليس في فقدان العين عمدًا تهلكة؟

مكتبة
maktabban.blogspot.com

كان الجميع يتسابق على ظهوره على الشاشات معهم لكنه دومًا ما كان يرفض رفضًا قاطعًا..

سعى الجميع لحل لغز ذلك الفتى لكن بدون جدوى..

كأنه سر من أسرار حرب لم تنته بعد..

لا أحد يعلم لمَ أقدم على هذه الخطوة من البداية غيره، كما لا أحد يعلم لمَ يتراجع عنها الآن أيضًا غيره..

يسمع طرقات على باب شقته..

تحرك من فراشه في عدم اتزان كجسد يمشي بدون رأس، مد ذراعه أمامه وتحرك في بطء في اتجاه الباب..

سمع صوت شخص ما يقول في ضجة:

-عمار أنت لا تزال نائمًا..عمار..

ميز عمار الصوت بسهولة..إنه حسام..صديقه منذ الطفولة..

أجابه متسائلًا وهو يفتح الباب:

-ما الذي أتى بك مبكرًا هكذا؟

دخل حسام ضاحكًا وهو يقول:

-استيقظت باكرًا فقلت لنفسي لنذهب لهذا الشاب الكفيف لعله يحتاج مساعدتي في تجهيز نفسه..لكن أعتقد أني أخطأت..

أغلق عمار الباب خلفه قائلًا:

-لا لم تخطئ يا صديقي، امكث هنا ريثما أبلل جسدي بالماء كي أستفيق.. فأمامنا يوم طويل جدًا..

-نظر حسام في اتجاهه وقال:أتحتاج مساعدة؟

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

أتته الإجابة التي اعتاد أن يسمعها أن لا..

تحرك حسام بجسده النحيف نحو المطبخ قائلًا:

-إذن سأقوم بإعداد الفطور..

وبنبرة صوت عالية بعض الشيء قال:

-لعلك تحفظ الجميل..

أغلق عمار على نفسه باب الحمام وهو يقول ضاحكًا:

-أتقصد أني ناكر للجميل؟

قال حسام بتعابير وجهه الجادة وهو يعرف أن عمار لم يعد يسمعه:

-يا ليت كل الأصدقاء مثلك يا عمار..

ثم أخذ يدندن بالغناء أثناء إعداده للفطور بصوت سيء تتأذى منه الآذان..

بعد وقت قليل خرج عمار بجسده القوي الرشيق ذي العضلات المتناسقة مع بعضها البعض تُظهرها قطرات المياه المتبقية عليه، متجهًا إلى غرفته التي يهتدي إليها كأنه يراها..

قام بارتداء الملابس على فراشه بعد أن أخبره حسام أنه قام بوضعها..

عندما خرج إليه وجد رائحة الإفطار الشهية المتمثلة في رائحة البيض المقلي وقطع البسطرمة الصغيرة..

إنها عشقه الأول..

سحب كرسيًا وجلس كل منهما على طاولة الطعام..

لم يتوقف حسام عن المزاح والسخرية وإلقاء النكات كعادته..

وأثناء ذلك دقت نغمات هاتف عمار ليقوم حسام بقراءة اسم المتصل

مكتبة مسبب
مكتبة التصريات
maktabah.blogspot.com

قائلًا:

-هذا دكتور حاتم

وضع الهاتف في يد عمار ليقوم بالرد:

-أهلاً دكتور..

-أهلاً عمار..

-كيف حالك اليوم؟

-بخير..

-يبدو أننا تأخرنا؟

قالها عمار، ليقوم دكتور حاتم بالرد عليه قائلًا:

-لا في الحقيقة قمت بالاتصال بك لأخبرك أن دكتور فابيان قد تأجلت رحلته للغد، ولا توجد رحلات أخرى لتنقله من لندن إلى مصر اليوم.. وعلى ذلك ستتأجل العملية يومًا آخر..

صمت عمار قليلًا صمتًا له معنى ثم قال:

-حسنًا سأنتظر يومًا آخر..

استطرد دكتور حاتم قائلًا:

-عمار أنت تعلم أن دكتور فابيان قادم إلى مصر خصيصًا لأجلك..الجراحة التى ستُجريها نادرة جدًا، أنت سادس شخص سيُجريها في العالم، ولا تنس الجراحة التي قمت بها منذ شهور قليلة في عينيك، نحن لا نعرف مدى خطورة ذلك على نجاح الجراحة الثانية.

قاطعه عمار قائلًا:

-ألم نقم بعمل جميع الفحوصات اللازمة؟

-نعم، لقد قمنا بذلك لكنها لا تزال عملية ليست سهلة، وأنت لا تريد

الانتظار، كان على دكتور حاتم توضيح كل ذلك لعمار عندما شعر باستيائه.. الذي أجابه قائلًا:

-أعلم ذلك جيدًا، ولا بأس في انتظار يوم آخر..

انتهت المكالمة..

تحسس عمار بيده موضعًا على طاولة الطعام ليضع هاتفه..

لا يعلم سبب شعوره بالضيق من تأجيل العملية يومًا آخر..

هو يريد استرداد بصره في أقرب وقت..

فأمامه أشياء كثيرة ليفعلها على ما يبدو..

لقد تأكد أنه كان محدود الذكاء عندما تخلى عن بصره قبل ذلك..

لم يكن يعلم مدى قوة خصمه..

اعتقد أن بذلك سشحل جميع الأمور، ولكن تبين الآن أنه كان مخطئًا..وأن هناك من تلاعب به وقام بخداعه..

رفع رأسه متحدثًا لحسام قائلًا:

-ستبقى معي هنا اليوم، لن تذهب لأي مكان..

أجابه حسام في رضا:

-بالطبع سأبقى..لكن ماذا سنفعل؟

أجابه عمار قائلًا:

-ستعرف بعد قليل!

كانا مازالا يجلسان على طاولة الطعام..

عندما طلب عمار من حسام جلب حزمة أوراق وقلم من أحد الأدراج..

ليقول حسام مازحًا:

-لماذا؟ أتريد أن تذاكر؟

قال له عمار ساخرًا:

-تكاد نكاتك تقتلني ضحكًا..

وتابع قائلًا:

-اسمعني جيدًا..

ارتسمت علامات الجدية على وجه عمار الذي قال:

-أريد تسجيل كل ما حدث لي طوال السنوات الماضية، سأملي عليك كل شيء له علاقة بهذا الأمر، الذي لطالما كنت تريد مني إخبارك به..فأنا لم أعد أحتمل كتمان كل هذا بداخلي أكثر من ذلك..

أنصت حسام باهتمام بالغ لما يقوله عمار وأحضر ما أراد وقال:

-حسنًا، وها أنا ذا قد أحضرت كلاً من الأوراق والقلم..أنت تعرف كم أنا متشوق لهذا منذ وقت طويل..

لطالما انتظر الاثنان هذه اللحظة بشغف..فعمار يريد أن يبوح بما يكتمه في نفسه منذ سنوات لصديقه المقرب..

ضاربًا بخوفه والقلق الذي بداخله عرض الحائط..

هو لا يخاف إلا من إلقاء اللوم عليه في كل ما حدث وتسبب فيه سابقًا..

اللوم، وربما الاتهام الذي من الممكن أن يتعرض له حتى من أقرب الأشخاص إليه..

وحسام الذي يريد تفسير أفعال عمار الغريبة وسر انطوائه عن الناس طوال كل تلك السنوات الماضية..

واللغز الأكبر الذي كان بمثابة صدمة للجميع، وهو تنازله عن بصره وسبب

تراجعه عنه الآن..

فالأمر الذي يجبر صاحبه على التخلي عن نعمة البصر بالتأكيد سيكون شيئًا عظيمًا وغير معهود..

*****

الفصل الثاني

الظهور الأول

يوليو ١٩٩٩ م

طفل لا يتجاوز الستة أعوام يلعب الكرة في الشارع برفقة بعض الأولاد أمام إحدى البنايات..

يتصبب العرق من وجهه الذي اتخذ لون حبات القمح..

كان يلهو في استمتاع ولهفة حتى توقف عن اللعب فجأة حين سمع صوت صراخ مرتفع يخرج من البناية التي يسكن فيها..

تسمر في مكانه للحظات ثم صعد الدرجات مسرعًا ليجد زحامًا أمام باب شقتهم والصراخ يخرج من الداخل..

دخل مسرعًا من بين تجمع الجيران الحاضرين ليرى ماذا حدث..

أخفق قلبه عندما رأى والده يستند على جدار إحدى الغرف يبكي، راجيًا قدميه بالتحلي ببعض القوة التي يستمدها من الجدار كي لا يسقط..

ثم نظر إلى الجيران المقطبة جباههم..

الذين بدأوا يمسحون بأيديهم على رأسه بعطف،

يرى في أعينهم الكثير من الشفقة، ومنهم من لم يكتفي إلا باحتضانه..

لا يعرف ماذا أصاب الجميع..

لا يفهم شيئًا..

أو كان لا يريد في نفسه أن يفهم..

عندما لاحظ والده وجوده قال لأحد جيرانهم يدعى العم فوزي:

-فوزي خذ عمار للأعلى لبعض الوقت حتى ننتهي من كل هذا..

قام العم فوزي جارهم باصطحاب عمار إلى شقته بالدور الأعلى..

كان يعرف أن أمه مريضة، لكنه كان كمعظم الأطفال في سنه يخالون أن الموت يأتي لكبار السن فقط، وعلى حسب ما يراه أن أمه لا تزال صغيرة على ذلك..

فقام بسؤال من يصطحبه لعله يجيبه بشيءآخر غير الذي يدور في رأسه قائلًا:

-عم فوزي لماذا يبكي أبي؟ وما وراء كل ذلك الصراخ في شقتنا؟

تردد الرجل للحظات ثم نظر إليه في صمت لوهلة قبل أن يجيبه قائلًا:

-والدتك ذهبت إلى السماء يا بُني..

هنا أفلت عمار يده من الرجل وهبط مسرعًا لشقتهم وهو يبكي ويصرخ مناديًا على أمه..

دخل الشقة مهرولًا نحو غرفتها ليجد والده يقف أمام الباب يمنعه من الدخول،ثم ركع على ركبتيه ليقوم بضمه إلى صدره ويقول في أسى:

-انتظر يا عمار، سأتركك تراها بعد انتهاء الغُسل..

لم يفهم ما قاله والده ولكنه انتظر والدموع في عينيه..

تدور في رأسه الكثير من الأسئلة..

أن كيف تموت أمه وهي لم تكبر وتشيب بعد!

وكيف تتركه في هذا السن وهو ما زال صغيرًا ويحتاج إليها بجانبه..

لقد اتهم الموت في ذلك اليوم بالخداع..

نعم ظن أنه قام بخداعه وأخذ أمه منه بدون إشارة أو إنذار مُسبق..

فإن كان يعلم لبقي بجانبها طوال الوقت..

بعد دقائق قليلة سمح له والده بالدخول لغرفتها فوجدها نائمة لا تتحرك..

كانت المرة الأولى التي يعرف فيها عمار ماهية الموت عن قرب ويتألم بفعله..

اقترب منها وقال لها ببراءة وكأنها ستسمعه:

-أمي.. كيف حالك الآن؟ أنتِ بخير أليس كذلك؟ هل وجدتِ الجنة التي لطالما كنتِ تحدثيني عنها؟إذن فانتظريني هناك، أنا قادم إليكِ لن أتأخر.. لن أتركك هناك وحدك، لم يتبق لي شيء هنا بعد رحيلك..كنت أريد أن أبقى بجانبك طول عمري وأكبر أمام عينيكِ..

ظل عمار واقفًا بجانب أمه تنهمر من عينيه الدموع كأمطار شتوية لا تتوقف، يُحدثُها معاتبًا أن كيف استسلمت للموت وتركته..

المسكين الصغير لا يعرف أنه ليس لأحد منا أن يعلم مكان وتوقيت الموت أو الاعتراض على موعده وتأجيله..

أخذ ينظر لأمه ويقول:

-أنا قادم إليكِ لن أتأخر، لن أتركِكِ بمفردك كثيرًا!

أخذه والده بهدوء مواسيًا إياه إلى الخارج لإتمام تجهيزات الدفن..

مر ذلك اليوم العصيب عليهم تاركًا أثرًا سيئًا داخل كل منهما، ثم مرت الأيام بعد ذلك متشابهة في الحزن..

كانا يتحدثان عنها كثيرًا..

يشعران أن الحياة أصبحت فارغة عليهم بدونها..

لم يقدرا على العيش في الشقة في غيابها..

ذهبا إلى منزل العائلة الكبير في إحدى القرى القريبة منهم..

كان عمار يجلس في البيت دائمًا لا يلعب مع الأطفال ولا يتحدث كثيرًا..

كأن طفولته قد رحلت برحيل أمه وفقد في نفسه الإقبال على الحياة..

مرت الشهور وبدأ الدارسة في المرحلة الابتدائية..

لكنه استمر في انطوائه..

يذهب إلى المدرسة وحيدًا ويعود وحيدًا..

بعد عدة أشهر وفي صباح أحد الأيام اقتربت منه إحدى عماته وهي تقول:

-كيف حالك يا عمار؟

واضعة يدها على رأسه مداعبةً خصلات شعره الناعم بأصابعها وتتابع:

-أنت بخير؟

أجابها قائلًا:

-نعم، بخير..

قالت:

-أنت تعلم أنه يوجد لدينا حفل زفاف غدًا؟

نظر إليها محاولًا الابتسام وقال:

-حفل زفاف!! زفاف مَن؟

صُدم وهو يسمعها تقول:

-سيتزوج والدك غدًا..

تجهم وجهه قليلًا وهو يردد خلفها:

-والدي!

قالت:

-نعم، سيفعل ذلك من أجلك أنت..

وتابعت:

-أنت مازلت صغيرًا وتحتاج لمن يرعاك..

كطفل في عمره تقبل ذلك وقتها، لكنه سمع صوتًا واضحًا بداخله يقول:

-لا أحد سيرعاك كأمك..اعلم ذلك جيدًا..

ارتعد جسده بشدة، فهذه المرة الأولى التي تحدثه فيها نفسه بذلك الصوت..

ظل فترة يراقب عودة سماع ذلك الصوت مرة أخرى لكنه لم يعد..

تزوج والده وجاءت زوجته إليه وقبلته بحب أو هكذا بدا عليها..

بعدها ذهبت هي ووالده للعيش في شقتهم بالمدينة، مكث عمار في بيت جده حتى أنهى العام الثاني من المرحلة الابتدائية..

وخلال ذلك الوقت قام عمار بزيارتهم عدة مرات..

حتى جاء موعد انتقاله للعيش معهم أو بمعنى أصح، للعيش مع زوجة أبيه..

في البداية كانت ترعاه وتهتم به كثيرًا..

كان كل شيء جيدًا حتى ظن عمار أنها موجودة بالفعل لتعوضه ولو

بجزء صغير عن وجود أمه..

لم يمر وقت طويل حتى أصبح يناديها أمي، كان هذا بالتأكيد من الصعب عليه، لكنه قد فعل ذلك بناءً على طلب والده..

حتى انتهت إجازة السيد حمدي وجاء موعد سفره للعمل..

يعمل السيد حمدي في محافظة بعيدة، يأتي إجازة عدة أيام قليلة كل أربعين يومًا أو أكثر..

وأثناء ذلك أصبح عمار يرى أن اهتمام زوجة أبيه بدأ يقل شيئًا فشيئًا..

ولا سيما بعدما تأخر إنجابها..

كان يظن أن ذلك سيجعلها تهتم به أكثر..

لكن ما حدث كان العكس تمامًا..

وجد أن مصروفه المدرسي ينقطع عندما يسافر والده..

كانت تتركه كثيرًا بمفرده وتذهب لعائلتها الذين يسكنون في نفس المدينة..

لطالما كان يجلس بمفرده كثيرًا في الشقة يتذكر أمه ويبكي من معاملة زوجة أبيه..

كحيوان أليف قسى عليه حظه وأوقعه في يد من يهملون رعايته ويحبسونه، كذلك كان عمار، أصبح سجين الشقة لا يتحدث مع أحد ولا يلعب في الشارع مع الأولاد في عمره..

حتى أنه بدأ يرى كوابيس مخيفة بشكل متكرر..

كان أحد تلك الكوابيس يتكرر باستمرار لرجل معلق من رقبته في الغرفة المجاورة..

كان عمار يرى نفسه دائمًا يذهب إلى هذه الغرفة بخطوات مرتجفة،

مترددة، يفتح بابها ويرى ذلك الرجل وهو يتأرجح في هدوء إلى الأمام والخلف..

يقف أمامه لثوانٍ قليلة، عندها يتوقف الرجل عن التأرجح ويفتح عينيه ناظرًا له في غضب ويقول بصوت مخيف:

-سيخدعك كما قام بخداعي..لن تنجو منه، سيكون مصيرك نفس مصيري..إلا إذا فعلت عكس ما سيقوله لك.. إنه عدوك وليس صديقك..إنه لا يحبك، هو لا يعرف لنا إلا الكره!

يحاول عمار الهروب من أمامة مع أول كلمة لكنه لا يستطيع ذلك..

كأنه مجبر على مشاهدة أحداث ذلك الكابوس للنهاية دومًا..

كان يستيقظ من النوم مفزوعًا ليجد نفسه مازال وحيدًا، حتى أصبح لا ينظر إلى هذه الغرفة ولا يدخلها مطلقًا إلا في أضيق الظروف..

كان يفكر كثيرًا فيما يقوله ذلك الرجل في كل مرة، ولكنه لا يعلم ما يقصده بتلك الكلمات..

اعتادت زوجة أبيه على تركه وإغلاق باب الشقة عليه أغلب الأيام..

وعندما يأتي والده تخبره بأشياء فعلها في غيابه فيقوم بضربه لتأديبه دون أن يسمعه أو يهتم لرأيه..

مرت الشهور وتكرر ذلك كثيرًا حتى أصبح عمار لا يعرف هل يفرح عند اقتراب موعد قدوم والده إلى البيت، أم يحزن لأنه يعلم بشأن الضرب على أخطائه ككل مرة..

مر عام آخر وعمار في هذا الجحيم لا يتغير شيء..

كل يوم كان يمر يحدث ما هو أسوأ..

أصبح لا يحب الحديث مع أحد..

أحب الجلوس بمفرده..

أصبح ينام كثيرًا..

بعدما رأى في أحلامه مهربًا من هذه الوحدة.

كان يحلم بطفل يشبهه كثيرًا لكن ما يميزه عنه أن لون بشرته سوداء كظلام ليلة غاب فيها القمر..

يلعبان معًا ويضحكان كثيرًا..

كان يشبه عمار كثيرًا حتى أصبح يرى فيه أنه توأمه الذي صنعه خياله من أجل أن يؤنس وحدته..

أصبح يحب النوم كثيرًا ليلتقي به..

وفي أحد الأيام كان عمار يحلم باللعب مع ذلك الطفل حين استيقظ مفزوعًا على صوت زوجة أبيه وهي تجذبه من يده في عنف وتقول:

-قم أيها الشقي!

قام عمار وقلبه يخفق بشدة، ظن أن زوجة والده توقظه بهذه الطريقة لتنقذه من انهيار المنزل فوق رأسه لوجود زلزال أو ما شابه..

لكنه وجدها متأهبة كأنها هي من ستحدث الهزة الأرضية لينهار كل شيء فوقه..

عندها قالت بحدة:

-فعلت فعلتك وتنام..

نظر عمار لوجهها الممتلئ الذي يكسوه الاحمرار وقال:

-ماذا حدث يا أمي؟ أنا لم أفعل شيئًا!

وكأن كلمة أمي أثارت بداخلها شيئًا ما، فقالت في غل:

-أنا لست أمًا لأحد!أين العشرين جنيهًا التي كانت في الدرج؟ يا سارق!

قال عمار في صدمة:

-أية عشرين جنيهًا أنا لا أعرف! لم آخذ شيئًا من الدرج.. لم أفتحه من الأساس..ولست بسارق!

صفعته بكفها تاركةً بصمات أصابعها على وجهه قائلة:

-لا يوجد أحد غيرنا في البيت..لا تكذب علي.

وتابعت محاولة أن تنتزع منه اعترافًابفعلته:

-أين سيذهب المال بمفرده؟ قل لي ماذا فعلت بها؟ أقمت بشراء أشياء لك؟إذن أعطني ما تبقى..

آثر عمار الصمت واكتفى بالنظر إليها دون أن يتفوه بكلمة..

فرحلت من أمامه مهددة:

-عندما يأتي والدك سأخبره أني أعيش مع سارق ينبغي أن تُقطع يده..

كان عمار يعرف أن والده سيصل بعد عدة أيام..

وقد اتخذ قراره بأنه سيقوم بالتحدث معه بشأن تعاملها السيء، ويخبره عن تركها له وحيدًا في الشقة طوال الوقت..

فقد كان عمار لا يُحدّث والده بما تفعله به زوجته أثناء غيابه لكيلا يكون سببًا في شجارهما، وخوفًا من ردة فعلها معه بعد رحيله..

لكن وكعادة والده عندما أتى..

لم يسمع له بل قام بضربه بطريقة شديدة القسوة..

أقسم أنه لم يسرق..

ترجاه باكيًا كثيرًا كي يصدقه لكن دون جدوى..

شعر عمار بقهر وظلم كبيرين..

لأن والده لم يصغ لكلماته ولم يعرها انتباهًا.

مرت أيام الإجازة سريعًا، حاول والده أن يتقرب منه قبل رحيله مثل كل مرة بعد الضرب المبرح الذي يتلقاه في بداية كل إجازة..

لكن هذه المرة رأى عمار أن والده قد تغير كثيرًا وأصبح يصدق عليه أي شيء تقوله عنه زوجته، حتى السرقة..

بعد مرور يومين من سفر والده..

كان عمار ممددًا بجسده على فراشه مستيقظًا حينما سمع بالصدفة صوت امرأة تتحدث مع زوجة والده وتقول لها:

-الحساب الآن ثمانون جنيهًا..

أجابتها زوجة والده وقالت:

-لا، الحساب الآن مائة..

قالت المرأة:

-أنتِ لا تتذكرين أني أرسلت لكِ ابنتي الشهر الماضي وأخذت منكِ عشرين جنيهًا..

قالت:

-أحقًا؟ لم أكن أتذكر ذلك مطلقًا، لقد قلت أن الشيطان الذي يعيش معي سرقها..

قالت المرأة:

-لقد ظلمته إذن..

قالت لها في برود وعدم اكتراث:

-لا بأس في ذلك، على كل حال لقد تعلم أن السرقة أمر سيء.

وتعالت أصوات ضحكاتهم معًا..

ضاقت نفس عمار كثيرًا مما سمع وانفجر في البكاء بحسرة حتى غلبه النعاس لينام..

ليرى في حلمه أنهما جالسان على طاولة الطعام ومعهما ذلك الطفل الذي يشبهه يجلس بجانب زوجة أبيه ويقوم بالتقيؤ في طبق الطعام الخاص بها..

ينظر كل منهما للآخر ويضحكان عليها وهما يرونها تأكل ولا تشعر بشيء..

في اليوم التالي بعد المدرسة رجع عمار ولم يجد زوجة والده في الشقة، تاركة المفتاح كعادتها عند إحدى الجيران لتفتح له وتغلق عليه بعدها..

وبعد عدة ساعات شعر عمار بأحد يفتح باب الشقة فأغلق عينيه مدعيًا النوم، لا يريد أن يسمع توبيخ زوجة أبيه المعتاد..

لكنه لم يسمع صوتها تناديه كعادتها..

فهذه المرة سمع صوت أبيه ينادي عليه:

-عمار!

قفز مسرعًا في اتجاهه لاحتضانه..

رأى على وجه والده الحزن والأسى..

سأله:

-أيوجد خطب ما في العمل؟

أجابه نافيًا:

-لا..

ولم يتحدث كثيرًا..

أخذ شنطة مدرسته وملابسه وقال له:

-سنذهب لبيت جدك لبعض الوقت..

شعر عمار ببعض القلق من ذلك لكنه لم يفهم شيئًا..

أخذ يفكر طول الطريق أن زوجة أبيه هي من طلبت من والده إرساله لبيت جده لأنها لا تريد العيش معه..

دارت الكثير من الأشياء في مخيلته..

لكن عندما وصلوا لبيت العائلة..

رأى علامات الحزن على الجميع كالتي سبق ورآها على وجوههم عندما فقد أمه..

علم بعدها أن زوجة أبيه ماتت في حادث..

لم يتحدث أحد أمامه عن تفاصيل ذلك الحادث ولم يسأل هو..

بعد فترة عاد هو ووالده للعيش في الشقة مرة أخرى بمفردهم..

بعدما خرج السيد حمدي على المعاش المبكر كما قال لابنه..

في هذه الأيام لم تكف الكوابيس عن ملاحقة عمار، فإلى جانب الرجل المعلق من رقبته، الذي يراه باستمرار..

جاءت زوجة أبيه لتكمل ما كانت تفعله في حياتها..

كان يراها تقف أمامه بجسدها السمين ترتدي ثيابًا مهترئة، يكسو الغبار وجهها الأبيض وشعرها المجعد الذي يحجب احمرار عينيها، كأنها خرجت من قبرها للتو..

تبتسم له ابتسامة تقتله رعبًا، ينتظر منها أن تتحدث ولكنها تكتفي بالوقوف أمامه هكذا دون أن تتفوه بكلمة..

لم يفهم عمار لذلك معنى..

لكنه تعود على تلك الكوابيس رغم صعوبتها..

لقد تعود على مواجهة كل المتاعب وحده..

لا يتحدث مع أحد في شئونه الخاصة، حتى والده الذي كبر وكبر معه حاجز الصمت بينهما..

فإن لم تكن تستمع لطفلك في صغره وهو يحتاج ذلك، تأكد أنه سيفقد القدرة على التحدث معك عندما تكبر وتحتاج أنت ذلك..

بعد عدة سنوات قليلة مات جد عمار..

كان قد أصبح شابًا بالفًا..

يعي ما يحدث من خلافات بين عمه الكبير غلاب ووالده من أجل تقسيم الميراث..

لم يرد السيد حمدي وقتها الدخول في صراع كبير مع أخيه من أجل المال..

غلاب الذي رأى أن حمدي، أخيه الأصغر لم يستحق تملّك أراضي لم يكن قريبًا منها ولا يراعيها مثله.. رأى عمار وقتها كيف أسر والده حزنه في نفسه، إلى أن رحل هو الآخر وبقي هو بمفرده في هذه الحياة.. لكنه لم ينس عمه غلاب الذي تسبب في موت والده بحسرته لانقطاعه عن إخوته..

حقد عليه وكبر ذلك الحقد بداخله..

أصبح يسكن في شقتهم بمفرده، لا يذهب لأحد ولا يتحدث كثيرًا مع أحد.. صار شابًا منطويًا بعض الشيء، لا يعرف إلا صديقين له، حسام وياسين..

وفتاة يراقبها من بعيد تدعى هند..

الفصل الثالث

قضية انتحار

١ يونيو ١٩٨٤م

في الساعة السادسة صباحًا تلقى الضابط المناوب بمركز شرطة المدينة، الذي كان على وشك أن ينجح في سرقة غفوة قصيرة، بعد صراع شديد دام طوال الليل مع النوم، بلاغًا عن العثور على جثة مالك منزل رقم ٦٣ بشارع الحرية بمنطقة شرق المدينة..

كان هذا البلاغ كفيلًا بهروب النوم من عينيه..

أخذ بعض البيانات ثم تحرك ومعه قوة من الأمن إلى عنوان البلاغ،بعد أن قام باستدعاء كلًا من الشرطة الجنائية والطب الشرعي..

بعد وقت قليل كان النقيب عصام الجهيني يدخل إلى مسرح الجريمة..

ببنيته القوية وخطواته الثابتة يخفي إرهاق عينيه بنظارته السوداء يستكشف المكان، بيت كبير يرتفع لثلاثة طوابق يحيط به سور من جميع الجهات، أمام بوابته من الداخل مساحة خضراء.

استقبله أحد أقارب الضحية الذي قام بالإبلاغ عن الحادث..

أمر الضابط عصام بتطويق المنزل بشرائط تحذيرية بعدم الدخول لعدم إتلاف الأدلة والبصمات لحين وصول القوة الجنائية..

اقترب من قريب الضحية وقال معرفًا بنفسه وهو ينزع نظارته السوداء وبصوت خشن:

-النقيب عصام..

قال الشاب الذي مازالت ترتسم على وجهه علامات الصدمة مما رآه:

-أهلًا عصام بيه..

-أين مكان الجثة؟ بادره الضابط بهذا السؤال..

أشار الشاب إلى إحدى الغرف بالدور الأرضي، وهو يقول بصوت متقطع:

-هنا.. هنا في المكتب..

دخل عصام إلى مكتب الضحية ليجده طريحًا على ظهره بجوار كرسي خشبي تشير وضعيته أنه كان جالسًا عليه قبل موته..

في منتصف جبهته جُرح غائر سببته رصاصة من مكان قريب جدًا، تكاد تكون فوهة المسدس ملاصقة للجبهة عند الإطلاق.

وجهه أزرق مائل للبياض نتيجة نزيفه للدم لفترة تقدر من ثلاث لأربع ساعات..

يوجد بجانب يده مسدس ٩ مللي، يبدو أنه سقط من يده..

لا يعلم بعد إذا ما كان هذا السلاح المستخدم في الجريمة من عدمه..

تراجع الضابط عصام بعد إلقاء نظرته على المكان والجثة لكي يُبقي على كل شيء كما هو لحين وصول الطب الشرعي والقوة الجنائية..

أشعل لفافة تبغ وهو ينظر للشاب أمامه سائلًا إياه:

-ما وجه القرابة بينك وبين الضحية؟

قال الشاب:

-أنا ابن أخ السيد عثمان (الضحية).

-وما سبب حضورك للقتيل في هذا التوقيت؟

قال الشاب:

-لقد تعودت المرور على عمي في مثل ذلك التوقيت أثناء سفر باقي العائلة ومكوثه بمفرده لعله يحتاج إلى شيء..لكن عند وصولي لم يجب عليّ كعادته، وعندما دخلت عليه غرفة المكتب وجدته على تلك

الحالة..ساقطًا على جانبه مع الكرسي الذي اعتاد أن يجلس عليه وبجانبه مسدسه الشخصي..

صمت الشاب قليلًا لابتلاع ريقه ثم تابع قائلًا:

-اقتربت منه لعلي أجده على قيد الحياة وأحاول إسعافه لكني رأيت أثر الرصاصة في جبهته، فأيقنت أنه قد فارق الحياة..قمت بالاتصال بكم على الفور..

طلب الضابط عصام من الشاب أن يصطحبه ليلقي نظرة على باقي البيت..

خلال ذلك الوقت كان الطب الشرعي قد وصل إلى المكان وأخذ يجمع الأدلة ويرفع البصمات من مكتب القتيل..

ثم تم نقل الجثة إلى الطب الشرعي لمعرفة سبب الوفاة..

وفي نهاية اليوم توفرت كل المعلومات عن القتيل..

فقد أظهرت التحقيقات أن الضحية تاجر أقمشة كبير تزوج للمرة الثانية منذ عدة أشهر، مستقر ماديًا له ثلاثة أبناء من زوجته الأولى..

ولكنه انتحر بإطلاق الرصاص على نفسه في ظروف غامضة أثناء سفر عائلته لقضاء بعض الوقت في إحدى القرى السياحية..

والسؤال المحير للجميع..

لم يُقدم شخص مثله على الانتحار؟

وهل فعل ذلك تحت التهديد أم انتحر بإرادته؟

خرج الضابط عصام من البيت متوجهًا إلى مكتبه وهو يفكر في موت السيد عثمان..

تاجر المخدرات الذي يتخفى خلف تجارة الأقمشة والذي يراقبه منذ عدة شهور، وكيف استطاع منذ عدة أيام فقط من تهريب شحنة مخدرات

كبيرة داخل البلاد؟ لكن لم يتمكن الضابط عصام من الإمساك به واستطاع الإفلات من قبضة الأمن..

يستغرب كيف لشخص ذكي مثله أن يقدم على الانتحار!

لذلك يشعر أن الأمر به لغز ما لابد أن يصل لحل له..

دخل مكتبه وجلس في تعب من كثرة التفكير وصاح مناديًا:

-مرعي.. عسكري مرعي!

دخل أحد العساكر مسرعًا وهو يقول:

-أمرك يا عصام بيه..

-فنجان قهوة مضبوط..

-أوامرك يا بيه..

أشعل لفافة تبغ واتكأ على مقعده وأخذ نفسًا عميقًا منها ثم زفر دخانًا كثيفًا ملأ به الفراغ حوله وهو يردد بلسانه ما يدور في رأسه قائلًا:

-رجل ثري متزوج من امرأتين، له ثلاثة أولاد، تجارته الظاهرة والباطنة تسير على أفضل حال..ما الذي يجعله يفكر في الانتحار؟!

كانت علامات الحيرة تكسو وجه الضابط عصام..

قد أرهقه التفكير في هذه القضية حتى استسلم لحقيقة أنها مجرد حادثة انتحار لا شبهة جنائية فيها..

في المساء عاد عصام إلى منزله، دخل غرفة صغيرته علياء التي لم تتجاوز السادسة للاطمئنان عليها، وجدها غارقة في النوم، نظر لها في حنان وطبع على جبينها قبلة ثم خرج من الغرفة بهدوء..

كانت زوجته نجاة في انتظاره وعلى وجهها ابتسامة رقيقة..

ساعدته في تغيير ملابسه وهي تقول:

-ما بك يا حبيبي؟ يبدو على وجهك الإرهاق الشديد..

نظر لها وقال:

-لا تقلقي يا حبيبتي، كالعادة بعض الأمور المتعبة في العمل، ولكن كل شيء سيكون بخير..

قالت:

-حادث جديد؟!

هز رأسه في إيجاب وقال:

-حادث انتحار غامض، أرهقني التفكير فيه طوال اليوم بدون التوصل لشيء..

قالت نجاة:

-لا تقلق، ستجد له حلًا كما تفعل دائمًا.

أدارت له ظهرها وهي تقول:

-لحظات ويكون العشاء جاهزًا..

بعد العشاء قال عصام لزوجته وقد ثقلت جفونه بإلحاح شديد لآخذ قسطٍ من الراحة، يجب أن يكون هناك سبب للانتحار.

ثم قام إلى غرفته ودس جسده في فراشه ليغط في نوم عميق..

لم تمر ساعات قليلة حتى سمعت نجاة صياح زوجها وتقلبه في الفراش، بدا عليه أنه بداخل كابوس مخيف..

وضعت يدها على كتفه وهي تقول:

-عصام! عصام استيقظ يا حبيبي.. أنت تحلم! عصام..

ليستيقظ عصام وعلى وجهه علامات الفزع والخوف..

ناولته زوجته كوبًا من الماء وهي تقول:

-اشرب يا حبيبي..

شرب منه قليلًا ثم أخذ يلتقط أنفاسه حتى هدأ وقال:

-كابوس مخيف!

قالت وهي تلتقط منه كوب الماء وتضعه على الكومود بجانبها:

-ماذا رأيت؟

صمت قليلًا كأنه يتذكر ما رأى ثم قال:

-حادث الانتحار الذي حدثتك عنه قبل أن أنام..

قالت:

-ألا تزال تفكر فيه؟!أخرجه من عقلك أفضل..

نظر لها وقال:

-أنتِ لا تعلمين شيئًا، هذا الرجل يعمل في تجارة المخدرات انتحر لأسباب مجهولة.. لا يوجد أي شيء يجبره على الانتحار.. لكني رأيته في الحلم وهو يركع على ركبتيه في استسلام..

شرد عصام بعينيه في أحد أركان الغرفة قليلًا، ثم تابع قائلًا:

-كان أمامه أحد الأشخاص يصوب مسدسًا إلى رأسه..لم تمر ثوان حتى أطلق عليه رصاصة اخترقت منتصف جبهته..

قالت نجاة:

-لا تُرهق نفسك أكثر من ذلك..

تابع عصام قائلًا وكأنه لم يسمع حديث زوجته:

-عندما استدار القاتل وأصبح وجهي في وجهه..رأيت...

هنا توقف عصام عن استكمال ما رأى وصمت.

مسحت نجاة بيدها على رأسه وأعادت ما قالته مرة أخرى:

-لا تُرهق نفسك بالتفكير في هذه القضية أكثر من ذلك، حاول أن تأخذ قسطًا من الراحة..

نظر لها عصام مبديًا احتياجه لذلك بشدة، عاد للنوم مرة أخرى غير مغمض العينين يعيد على نفسه ما أخفاه عن زوجته، أن الشخص الذي رآه يقتل السيد عثمان في الحلم كان هو نفسه، كأنه نظر في مرآة لا يوجد اختلاف بينه وبين القاتل إلا لون بشرته السوداء..

والأعجب من ذلك أنه رأى ذلك الشبيه يبتسم له كأنه يعلم بوجوده..

أخذ عصام يفكر فيما رآه في هذا الحلم مرارًا وتكرارًا، وهو لا يعرف ما علاقة حلمه بموت السيد عثمان، حتى عاد للنوم مرة أخرى..

****-

الفصل الرابع

لغز قديم

في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية كان عمار يجلس في شقة والده بمفرده طيلة الوقت..

عدا يومًا واحدًا كل شهر أو شهرين، تأتي أصغر عماته للجلوس معه لتنظف ملابسه وترتب الشقة وترحل، وقد قررت فعل ذلك بعدما رفض عمار غلق الشقة والرجوع للعيش في بيت جده الذي أصبح يمتلكه عمه الكبير غلاب..

العم الذي لا يحبه عمار بعدما رأى ما حدث بينه وبين والده بسبب ميراث جده الذي حرمهم منه..

بخلاف تلك الأيام، كانت حياة عمار خالية من كل شيء، لا أحد يزوره

في الشقة إلا صديقيه حسام وياسين اللذان يدرسان معه في نفس المرحلة..

كان حسام من يتردد كثيرًا وبشكل دائم على شقة عمار عكس ياسين الذي كان يقضي معظم الأوقات في الدروس الخصوصية والمذاكرة..

وكعادة عمار عندما يجد نفسه بمفرده بعد رحيل حسام يدخل إلى الشرفة لينظر إلى شرفة حبيبته هند ينتظر منها الخروج ليراها..

هو لم يصرح لها بحبه بعد، لكنه يؤجل إخبارها لبعد الحصول على الشهادة الثانوية ودخولهم الجامعة سويًا..

قد ارتسمت على وجهه ابتسامة فرح وتسارعت نبضات قلبه عندما رأى مالكة قلبه قد أشرقت بنورها من الشرفة المقابلة..التي عندما نظرت إليه..أشاح بنظره بعيدًا عن شرفتها كعادته، كأنه لا يلاحظ وجودها..

في الجهة المقابلة نرى ابتسامة هند تغطي وجهها كابتسامة القمر في ليلة الكمال..

تقول في نفسها:

-يا لك من أحمق! أنت حقًا تظن أني لا أعرف أنك تقف هناك وعيناك لا تتحركان عن شرفتي.. المسكين لا يدري أن في هذا الوقت تكون هند خلف الشرفة تراه كل يوم وهو يراقبها عن طريق ثُقب صغير فيها..

في هذه اللحظة تشجع عمار ونظر في عين حبيبته هند تتلاقى نظراتهم المحبة تتحدثان بكل شيء لا يستطيعا التعبير عنه بألسنتهم..

ما أجمل البدايات في الحب! تلك المشاعر المتباينة فيه، التوتر والاطمئنان، الخوف والأمان، شعورك أنك تمتلك العالم، وإن كنت لا تمتلك شيئًا..السعادة الغامرة وإن كنت أشد الناس بؤسًا..

كان كلاهما في عزلة عمن حوله لا يشعرا بأي شيء غير حديث أعينهم ونبضات قلوبهم التي تصل كلًا منهما بالآخر..

في هذا الوقت خرج الباشمهندس توفيق أحد جيران هند من الشرفة التي تليها وقد رأى عمار وظن أنه يقف لاختلاس النظر إلى زوجته..

كان رجل ضعيف بذيء اللسان يشك في زوجته، لأنه يغيب عنها كثيرًا بحكم عمله في مواقع البناء المختلفة..

نظر لعمار وقال صارخًا:

-لم تنظر في هذا الاتجاه كثيرًا؟أخبرني لمن تنظر أيها الفاسد..

عاد عمار من عالمه الخاص الذي كان هائمًا فيه مع حبيبته وانتبه لحديث جار هند..

-أنا أقف في شقتي، وأنت ليس من حقك سؤالي عما أفعل وأنظر إليه..

قالها عمار مجيبًا عليه،كان يخاف أن يكون هذا الجار لاحظ أنه ينظر لشرفة هند.. ولكن الآخرأخذ يصيح في عمار ويسبه وقد تجمع عدد كبير من الجيران في الشرفات والنوافذ وحتى المارة في الشارع يسألون عما حدث.. قال الرجل بصوت مرتفع:

-أنا راقبته لأكثر من مرة ووجدت أنه يتلصص بالنظر على زوجتي..

أخذ عمار يدافع عن نفسه ويقول له:

-أنا لم أتلصص على أحد أقسم لك!

ينظر للرجل تارة ولتجمع الناس تارة ويقول:

-أقسم أني لم أفعل!

ولكنه كان يرى تصديق الناس ونظراتهم المشمئزة من فعله..

ويسمع سُباب ذلك الجار البذيءدون توقف..

كل هذا وهند تقف، تنظر إلى شرفة عمار.. تبكي لأنها لا تستطيع الدفاع عنه..

هي وحدها من تعرف ببراءته من ذلك الاتهام.. ولكن لم يكن بيدها شيئًا لتفعله.

في تلك الليلة كان عمار في غرفته..وقد ضاقت به الدنيا، أخذ يحدث نفسه مهونًا عليها قائلًا:

-أنا أعيش بمفردي لا أختلط بأحد، والناس معذورون في تصديق أي شيء يقال عن شاب في عمري يعيش بمفرده..

كان يشتاط غضبًا من هذا الجار الذي أهانه وسبه أمام الجميع بدون وجه حق..

حاول أن يدفن ذلك الغضب بداخله قدر المستطاع..

في هذه اللحظة مدد عمار جسده على فراشه وأخذ يتذكر أبيه وأمه، لو كانا معه الآن، لما حدث أي شيء من هذا.. فالأب هو السند والظهر الذي تتكئ عليه عندما تميل بك الحياة، هو حمايتك ودعمك وكل قوتك..فبدونه أنت ضعيف مهما بلغت من قوة..

والأم هي المأوى، هي الحضن الدافئ الذي ننسى بداخله كل التعب والأوجاع..فبدونها لا شعور بالأمان في هذا العالم..

أخذ عمار يبكى كثيرًا حتى استسلم للنوم..

ليرى جاره المهندس توفيق يتشاجر مع شاب في نفس طوله وبنيته القوية، رأى ذلك الشاب يقوم بضرب جاره ضربًا مبرحًا، كان يقف ويشاهد من ركن ليس ببعيد كأنه يستمتع بالعرض..

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات

إلى أن قام الشاب هذا بعضّ المهندس توفيق في رقبته ليسقط أرضًا دون حِراك..

تجهم وجه عمار حين رأى الشاب وهو يلتف بجسده وينظر إليه، ليشعر

كأنه يرى صديقه القديم الذي كان يراه في أحلامه وهو صغير..

للحظة شعر كأنه ينظر لنفسه فقام مفزوعًا وقد تسارعت نبضات قلبه..حين تذكر آخر حلم رأى فيه شبيهه الأسود هذا حين كان يجلس معه وزوجة أبيه على طاولة الطعام، وتذكر أنها ماتت بعد أن تقيأ في طعامها..

فهذا الحلم رغم مرور سنوات عليه، إلا أن عمار يتذكره جيدًا..

شعر بالخوف لأنه شك أن ما يفعله هذا الشبيه الأسود في الحلم له علاقة بما يحدث بعده في الواقع..

قرر أن يستقصي عن الأمر..

نظر إلى ساعة الحائط المعلقة أمامة ليجدها الثالثة قبل الفجر..

فأكمل نومه في قلق..

في الصباح الباكر ذهب عمار لإحدى عماته القريبات منه..وسألها إذا ما كانت تعلم شيئًا عن موت زوجة أبيه..وما هو الحادث التي تعرضت له..ليخفق قلبه بشدة لصدمته من إجابتها حين قالت:

-إنها ماتت بعد تعرضها لتسمم قوي..لم يستطع الأطباء التوصل لسببه أو مكوناته..

*****

الفصل الخامس

اكتشاف القدرة

منتصف شهر يوليو ١٩٨٤م

بعد مرور عدة أسابيع قضاها النقيب عصام في البحث عن تفسير ما رآه في الحلم حتى يئس أن يصل لشيء..

وكذلك قيامه بإغلاق قضية المعلم عثمان على أنها حادثة انتحار عادية ليس بها شبهة جنائية..

وبينما كان يجلس في مكتبه،دخل عليه النقيب طارق صديقه وزميله في القسم..

-صباح الخير يا عصام بيه..

-صباح الخير طارق باشا..تفضل.

جلس طارق ونظر إلى عصام وقال:

-هل توصلت لشيء جديد في القضية؟

تنهد عصام وأجابه قائلًا:

-لا، إنها مجرد حادثة انتحار عادية.

قال طارق:

-عثمان كان تاجر مخدرات وبالتأكيد لديه أعداء كُثر..من الممكن أن يكون انتحر تحت تهديد السلاح..

تذكر عصام الحلم الذي رآه وشرد ذهنه لثوانٍ..

ثم عاد من شروده سريعًا قائلًا:

-يجوز ذلك، لكن تقرير الطب الشرعي بعد مسح موقع الجريمة أفاد أنه كان بمفرده وقت الانتحار..

نظر له طارق وهو يهز رأسه في اقتناع بما قال..

بادره عصام قائلًا:

-أخذتنا للحديث عن القضية وسهوت أن أطلب لك قهوتك..

ابتسم طارق وقال:

-سأطلبها في مكتبي، لدي أعمال كثيرة عليّ إنهاؤها..

قالها وهو يَهُم قائمًا ليغادر المكتب.. لكنه وقف عند الباب وقال:

-هل قدمت الإجازة التي اتفقنا عليها، أم سهوت عنها هي الأخرى؟

قال عصام:

-وهل تم تحديد موعد السفر بعد؟

قال طارق:

-نعم، الموعد الأسبوع القادم..

قال عصام:

-لا أعلم قراري بعد، ولكن إذا لم يكن لدي نية للذهاب فستأخذ نجاة وعلياء معكم أنت وريهام والأولاد ليستمتعوا سويًا..

قال طارق وهو يفتح الباب:

-حسنًا اتفقنا، لكن حاول الحصول على إجازة والانضمام لنا، ألم تشتاق إلى شواطئ مطروح؟!

مر الأسبوع ولم يتمكن عصام من الحصول على إجازة للسفر مع عائلته برفقة عائلة طارق..

لكن الحقيقة أنه ما زال مشغولًا بالحلم الذي رآه في ذلك اليوم..

لقد كثرت أحاديثه مع نفسه كثيرًا من وقتها.. حتى أنه شعر أنه يتحدث مع شخصية أخرى بداخله..

مر يومان على سفر زوجته نجاة وابنته..

لا يعلم كيف تسرب لمخيلته الشك في صديقه طارق، وأنه من الممكن أن يستغل غيابه ليتقرب من زوجته نجاة!

وقد دعم خياله تلك الشكوك بتذكره أيام المراهقة والكلية، وما كان

يفعله طارق أثناء إجازاته والحكايات التي كان يَقُصها عليه من علاقاته الجنسية الكثيرة..

حاول عصام طرد تلك الوساوس من عقله وذهب إلى فراشه لينام..

لم يشعر من أين جاءته تلك الشكوك.. كانت تبدو كأفكار دخيلة على عقله..

لم يستغرق وقتًا طويلًا لينام، ليرى ما كان يفكر به كأنه حقيقة، زوجته نجاة تحتضن طارق بعيدًا عن الأنظار يتبادلان القبلات الحارة، تلتصق أجسادهم ببعضها بنهمٍ يكاد يمزجهما في جسد واحد..

قام عصام مختنقًا مما رآه، لم يهدأ حتى قرر السفر إليهم بدون أن يخبر أحدًا منهم ليقتلع هذا الشك والوساوس في رأسه من جذورها..

في مساء اليوم الثاني ذهب إلى مكان إقامتهم في الفندق المعتاد لهم كل عام..

طلب المفتاح الاحتياطي للغرفة المقيمة فيها زوجته.. وعندما صعد أمام الغرفة شعر بأحد يقترب من الداخل ليفتح الباب..

فأسرع للاختباء صاعدًا على درجات السلم ليرى من سيخرج، سواء كانت زوجته نجاة أم ابنته علياء أم كلاهما معًا.. يختبئ لمفاجأتهم بحضوره غير المتوقع..

لكن عندما نظر على درجات السلم أسفله وجد طارق!! طارق من كان بداخل غرفة زوجته، يهبط مغادرًا بمفرده ليس معه أحد من عائلته.. أغضبه ما رأى، لكنه سمع صوتًا بداخله يقول «لعل باقي عائلته لا يزالون بالداخل»..

ونفس الصوت يقول: «لكن ماذا لو لم تكن عائلته بالداخل وكان معها بمفرده؟!»

ظهرت علامات الغضب على وجه عصام وهبط على الدرجات وطرق

الباب..

لتفتح له زوجته نجاة.. التي ما إن رأته حتى تهلل وجهها فرحًا وارتمت في صدره لاحتضانه..

تمالك نفسه قليلًا وأخذ ينظر هنا وهناك بالداخل يريد أن يرى أحدًا من عائلة طارق لكنه لم يجد..

أخذت أصوات كثيرة تعلو بداخله عن تأكيد الشك في زوجته وخيانة صديقه له..

لكنه رغم ذلك لم يتهور وتعامل بطبيعته بل قام بما هو أكثر..

حين قال لزوجته:

-جئت إلى هنا لأنني شعرت بالوحدة في البيت بدونك أنتِ وعلياء..

وتابع حديثه سائلًا:

-أين هي؟ أنا لا أراها ولا أسمع لها صوتًا..

أجابته نجاة قائلة أنها نائمة..

استفزته هذه الإجابة أكثر..

هز رأسه وقال:

-سأمكث معكم يومين فقط وأرجع، فأنا تارك أعمال كثيرة على مكتبي..

قالت نجاة:

-إذن فلتبقى معنا لنهاية الأسبوع ونعود جميعًا..

نظر في عينيها وقال في خبث:

-لن أقدر على ذلك، وعلى كل حال فوجود طارق معكم هنا يطمئنني عليكم، وهو بالتأكيد يلبي كل طلباتكم في غيابي، أليس كذلك؟

قالها وهو يراقب تعبيرات وجهها لعلها تبوح له بما تخفيه..

أخذت نجاة تسرد الكلمات في مدح طارق وشهامته وعصام ينظر لها مبتسمًا، لكنه يشتعل غيظًا من الداخل.. وقد أمست كل الشكوك بداخله يقينًا.. خصوصًا أنها لم تذكر أن طارق كان معها منذ قليل..

*****

الفصل السادس

الشبيه القاتل

حلم الأمس واقع اليوم

بات يقينًا لدى عمار أن ما يفعله شبيهه في الحلم يؤثر بشكل ما في الواقع، فبعدما رأى في صغره هذا الشبيه يتقيأ في طعام زوجة أبيه لتفارق الحياة في اليوم التالي في حادث تسمم مجهول،

فما يدريه ألا يحدث لجاره حادث مماثل لما رآه في حلمه بالأمس!

هنا هرع عمار من بيت عمته إلى المدينة ليتابع شقة جاره المهندس توفيق إذا ما حدث له مكروه..

قضى معظم الطريق في التفكير عن ماهية هذا الشيء وكيف يمكن لذلك الحدوث..

من أين أتى ذلك الشبيه؟ وكيف له أن يؤذي من حوله عن طريق الأحلام؟

لكن لا يعلم إجابة لكل هذا..

وصل لمحل إقامته على أذان الظهر..

كعادته مر من أمام المسجد المجاور للبناية التي يقيم بها وصعد إلى شقته..

في كل مرة يمر من أمام المسجد وقت الصلاة يشعر بتكاسل شديد وإرهاق يبعده عن الدخول للصلاة وينفرّه منها، ثم بعد ذلك يشعر بالحسرة والندم داخل قلبه، لكنه سرعان ما تلهيه أمور الحياة..

دخل الشقة وجلس قرب الشرفة في ترقب يملؤه التوتر والخوف ينتظر أن يسمع أي صوت يأتي من شقة جاره..

يرجو في نفسه أن يكون ما حدث مع زوجة أبيه مجرد صدفة لا دخل لأحلامه بها..

لم يمر وقت طويل حتى سمع صراخًا وأصواتًا كثيرة تأتي من الشارع..

تردد صداها داخل صدره الذي بدا كغرفة مغلقة امتلأت عن آخرها بمكبرات صوت ترج أرجاءها رجًا..

تحرك في ارتباك وهبط مسرعًا إلى الشارع..

ليجد مجموعة من الرجال يقفون تحت منزل جاره بدا عليهم الحزن والتأثر..

اقترب منهم قائلًا:

-السلام عليكم..

رد اثنان منهم وقالا:

-وعليكم السلام..

فيما اكتفى بقيتهم بالنظر إلى عمار الذي قال لهم بنبرة قلقة مستفسرًا:

-ماذا حدث؟ ولما يعلو صوت الصراخ من هذه البناية؟

في إشارة منه لشقة جاره..

نطق أحدهم وأخبره بحزن:

-المهندس توفيق لقي مصرعه هذا الصباح..

نزلت هذه الكلمات كالصاعقة على مسمع عمار لكنه تدارك صدمته وقال:

-كيف ذلك لقد كان بخير بالأمس!

نطق رجل آخر وكأنه يريد أن يجعل عمار يكف عن أسئلته تلك، ويتركهم وشأنهم:

-لقد ذهبنا بالأمس لموقع عمل جديد في منطقة صحراوية، وفي الصباح عندما ذهب أحد العمال لإيقاظ المهندس توفيق من كبينته وجده...

صمت الرجل قليلًا متأثرًا بما حدث لزميله، ثم قال في صعوبة واختناق:

-وجده العامل ميتًا..

ثم تابع قائلًا:

-أظهرت تقارير الشرطة والمستشفى التي نقل إليها أنه تعرض للدغة ثعبان سام في رقبته أثناء نومه، مما تسبب في موته خلال دقائق، وحدث ذلك في ساعة متأخرة من الليل بدون أن يشعر به أحد..

صمت عمار وكأنه ابتلع لسانه، لكن حدقات عينيه اتسعتا حتى الجحوظ..

الأمر الذي جعله ينصرف عنهم ويصعد إلى شقته قبل أن ينهار أمام الجميع..

أخذ عمار يحدّث نفسه في ارتباك ويسألها..

ماذا يحدث لي؟

وكيف هذا؟

أصبحت قاتلًا الآن؟!

لقد جن جنونه وأخذ يحطم كل ما تقع عليه عيناه ويردد..

أنا لم أفعل شيئًا سوى الحلم..

ثم إن هذا ليس بإرادتي.. من هذا الفتى الأسود الذي يشبهني وأراه في

أحلامي منذ صغري؟

وما علاقته بقتل الأشخاص الذين قاموا باغضابي وإهانتي؟

صرخ عمار في نفسه وقال..

هل جننت؟! أنت تربط بين أحلام تراها وما يحدث في الواقع.. هي مجرد صدف لا أكثر.. نعم هي مجرد صدف..

حاول عمار السيطرة على النقاشات الكثيرة التي تدور بداخله..

وقد استقر على أن ما يحدث في الواقع ليس له علاقة بما يحلَم به..

وأن ما حدث لزوجة أبيه وجاره توفيق ما هي إلا محض صدفة،

كان عليه أن يقنع نفسه بذلك وإلا سيُجن من كثرة التفكير في هذا الأمر..

اكتمل الأمر بوجود حسام يطرق الباب ويصيح كعادته: عمار.. عمار..

فتح له الباب ليدخل وهو يقول:

-أسمعت عما حدث لجارنا المهندس توفيق؟ الذي تشاجر معك بالأمس..

أجابه عمار في حزن:

-نعم سمعت..

تابع حسام مازحًا:

-يبدو أنك مُحصن بطريقة ما يا صديقي.. فالقدر يقتص لك من أعدائك..

لم يعلم حسام أن بإلقائه تلك المُزحة سيثير غضب عمار الذي انفجر فيه قائلًا:

-ماذا تقول، هل جننت؟! الرجل لم يكن عدوي.. كان بيننا سوء تفاهم وانتهى.. ولماذا أنا الذي يقتص القدر له من أعدائه؟! وأين هم أعدائي من

الأساس!

رد حسام وقال بخجل:

-اهدأ يا عمار، أنا فقط أمزح!

قال عمار وما زال غاضبًا:

-وهل هذا موقف يُمزح فيه؟ إن الرجل قد مات، فالواجب علينا أن نُعزي أهله وندعو له بالرحمة لا أن نُطلق عليه المُزح..

اعتذر حسام وهو لا يفهم ماذا فعل لكل هذا، ولكنه أظهر أنه موافق على كل كلمة قالها عمار..

في الجهة الأخرى علم عمار تمام العلم أن حسام لم يستحق كل هذا التوبيخ لكنه أثار فيه المعضلة التي تشغله الآن، وهي علاقته وأحلامه بما يحدث في الواقع مع من يتشاجر معهم ويغضب منهم حتى لو لم يُظهر ذلك الغضب يكفي أن يحدّث نفسه عنه..

*****

الفصل السابع

ثمن الخيانة

بعد قضاء يومين مع ابنته وزوجته في مرسى مطروح، عاد عصام ليباشر عمله في القاهرة..

عاد وهو يفكر طيلة الطريق في أشكال وصور الخيانة بين صديقه وزوجته أم ابنته الوحيدة..

يتخيل نفسه أمامهم وهم على فراشه يتبادلان الحب وينغمسان في ملذات الشهوة والهوى، عاريان كما جاؤوا إلى تلك الحياة.. إلا أنهم ينقصهم براءة ونقاء المجيء..

رأى نفسه أمامهم، يوجه مسدسه الآلي عليهم، يفرّغ كل طلقاته فيهم

الطلقة تلو الأخرى..

أخذ يفكر في أبشع صور الخيانة والصوت بداخله يقول له:

أنت لا تستحق الخيانة أبدًا، لطالما كنت صديقًا وفيًا وزوجًا مخلصًا..

أنت تضحي بالكثير من أجل الحب والصداقة..

لكن لا أحد منهم أحبك كما أحببتهم أنت، لا أحد مثلك..

ولهذا يجب أن يكون انتقامك منهم شديدًا..

كان هذا الصوت يعلو بداخل عصام حتى أصبح ليس أمامه سبيل آخر غير الانتقام..

مرت الأيام الباقية ورجعت زوجته نجاة وصغيرته علياء..

لكنه أصبح لا يشعر بالسعادة في وجودهما، فما يلبث أن ينظر لهما حتى يتشوش فكره ويشرد ذهنه بهذه الأصوات التي تجتاح رأسه من حين إلى آخر. قفزت علياء من غرفتها إلى الخارج مسرعة حين سمعت باب الشقة يُفتح، نظرت لوالدها الواقف أمام الباب في بهجة، فتحت ذراعيها لاحتضانه..

على الجهة الأخرى ابتسم عصام تلقائيًا لرؤيتها ومال بجسده ليلتقطها إلى صدره، قام بضمها إليه في حب جم، وفي غمر هذه اللحظة السعيدة، سمع ذلك الصوت بداخله وهو يقول:

أحقًا تُحبها لهذه الدرجة؟!

وروحك معلقةٌ بها حد الجنون؟!

هل أنت موقن أنها ابنتك؟

تجمدت ملامح عصام وعلياء بين يديه وهو يفكر فيما ظن أن نفسه تحدثه به..

ليبتعد عنها بهدوء دون أن يتفوه بكلمة..

أما نجاة فأصبحت تلاحظ جيدًا تعامل عصام الغريب معها..

فإنه أصبح يتجاهلها معظم الأوقات، لا يُحدثها ولا يمزح معها كسابق عهده.. لكنها بررت تلك التصرفات بأن لديه ما يشغله في عمله..

في الليل كان كلًا منهما مستلق وقد أدار ظهره للآخر، ولم يعرف النوم طريقًا لأعينهم..

نجاة، تفكر فيما أصاب زوجها الذي لم يقترب منها منذ عودتهم من السفر، وتربط هذا بتصرفاته الغريبة التي لم تعهدها عليه من قبل..

وعصام، أخذت تتردد في عقله تلك الجملة التي سمعها أثناء احتضانه لعلياء مما منع النوم من الاقتراب لجفونه.. حتى ظل يردد في نفسه بهدوء:

هل أنت موقن أنها ابنتك؟!

في اليوم التالي وجد عصام نفسه أمام أحد مختبرات التحاليل الطبية لا يعرف ما جاء به إلى هنا، لكنه وجدها فرصة ليكتم كل تلك الأصوات بداخله..

أخذ يتلفت هنا وهناك، يلقي نظرة على المكان الذي لم تخطوه قدماه من قبل..

لكنه دخل وقام بإجراء التحاليل على نفسه..

انتظر بضعة دقائق شعر أنهم دهرًا..

تصبب عرقًا حينما رأى الطبيب قادم إليه وفي يده ورقة النتيجة..

التقطها بيده وهو يحاول معرفة ما فيها، لكن كلمات الطبيب كانت أسرع إلى أذنيه..

للأسف نتيجة التحاليل تقول أنك عقيم..

كادت الصدمة أن تقتله لكنه تماسك.. غير مُصدق ما سمعه للتو.. انسحب من أمام الطبيب في هدوء، هدوء لا يعكس الأعاصير الرعدية بداخله، موجات التسونامي التي تجتاح صدره، حرائق الأمازون التي قضت على المساحات الخضراء في قلبه وحولته إلى قطع متفحمة سوداء محترقة لم تعد صالحة للحياة..

لا يطيق أن يرجع إلى بيته ورؤيتهم، ذهب إلى شقته القديمة، على أطراف المدينة..

حزين بائس يشعر بفراغ داخله كما لو أنه احتضن عبوة ناسفة قبل انفجارها بثوان فلم تُبقي منه شيئًا..

وقف أمام إحدى البنايات وصعد إلى الدور الثاني ثم دخل إلى الشقة التي بدا عليها الهجر في تراكم الأتربة وخيوط العناكب..

دخل إلى غرفة نوم قديمة، جلس على فراشها في جمود غير قادر على التفكير..

يريد أن يصرخ، أن يبكي، يريد أن تنفجر روحه لِتنفّس عن الغضب المكتوم فيها.. يريد أن يفكر بصوت عال ليقرر ماذا سيفعل..

أخذ يحدّث نفسه قائلًا..

أنا عقيم!!

لماذا فعلت نجاة ذلك؟! لماذا؟

لمَ لم تطلّب الطلاق إن كانت لا تُحبني؟

كيف استطاعت العيش معي وخداعي بهذه الطريقة؟!

أخذ يفكر هل يواجهها ويفضح أمرها أمام الجميع؟

أم ينتقم منها وعشيقها؟

لم يستغرق وقتًا طويلًا حتى استقر على الخيار الثاني..

فالأول فضيحة كبيرة له خاصة وأن من خانه صديقه في نفس العمل..

لن يقدر على رفع عينيه في وجه زملائه إن قام بفضح أمرهم..

لن يقدر على سماع ثرثرة الجميع عن الضابط الذي خانته زوجته مع ضابط آخر..

سيكون حديث الضُباط والعساكر، وقد تصل الحكايات عنه حتى للمساجين..

لذلك استقر على خيار الانتقام، سيقوم بقتلهم جميعًا..

لكن كيف يفعلها؟

مدد جسده على السرير وهو ينظر إلى سقف الغرفة وقد أصبح مليئًا بالبقع السوداء القاتمة كالتي ملأت قلبه من اليوم.. يفكر في طريقة انتقام لا يكون فيها محلًا للشك..

أخذ يفكر ويفكر حتى تسرب النوم إليه وثقُلت جفونه ونام..

نام ليرى ما كان يريد رؤيته بشدة..

الذي كان يتمنى في نفسه أن يصبح حقيقة..

رأى جانبه الآخر، الجانب المظلم الذي سيقتص له مِمَن قاموا بخيانته..

نظر له شبيهه الأسود بنظرة ثقة يتبعها ابتسامة منتصر..

استيقظ عصام في الصباح ليجد نفسه وحيدًا على فراش شقته القديمة، فقام مسرعًا ليأخذ حمامًا باردًا ويرتدي ملابسه ويذهب لعمله..

في الطريق قام بالاتصال بزوجته نجاة التي أبدت قلقها عليه لمبيته خارج البيت بدون إخبارها كما عودها..

بعدها قالت له أن سيارتها قد تعطلت وستحتاجه للمرور عليها في العاشرة مساءً في النادي ليعودا معًا إلى البيت..

قال لها إنه سيمر عليها في هذا التوقيت..

أغلق معها حين وصل إلى عمله ليجد في إنتظاره قضية جديدة قد وُضعت على مكتبه..

فتح الملف، وجد صورة وبجانبها اسم..

«صابر السيد أحمد »

أخذ يقلب في صفحاته ويحاول التركيز فيها..

رجل أربعيني يقوم باستدراج أطفال الشوارع لاستغلالهم كسلع جنسية لبعض المهووسين بهذا النوع المريض من الجنس..

وكثير من هؤلاء الأطفال يختفون بعد ذلك بدون أثر..

فتلك الممارسات الحيوانية قد تتسبب في موت الكثير منهم ولن يبالي أحد بهم..

سيقوم المجرمون بتقطيع أجسادهم ودفنهم في أي مكان غير مأهول..

هذا السافل يعلم أن هؤلاء الأطفال لن يسأل عنهم أحد ولن يشعر أحد حتى بتغيبهم..

لكن رغم كل ذلك تبقى هذه مجرد كلمات على ورق لا يوجد بالملف دليل إدانة واضح، مما يعني أن هذا السافل وبمساعدة محام غير شريف سيتحرر ولن يُعاقب على جرائمه تلك في حق هؤلاء الأطفال..

شعر عصام بالتعب الشديد، قد أرهقه التفكير فيما آلت إليه بشاعة البشر..

العالم أصبح مليئًا بالخيانة والبؤس، والممارسات المنحلة والجنس،

والغرائز الحيوانية التي لدى البعض..

التي لا تفرق بين ذكر أو أنثى، ولم يسلم منها حتى الأطفال، بل يكاد يصل الأمر للحيوانات..

العالم أصبح سلة قمامة كبيرة وكثير من البشر كالقذارة بداخلها..

وضع عصام رأسه بين يديه على مكتبه لتغفو عيناه قليلًا..

ليرى شبيهه وهو يقف أمام ثلاثة جثث تحترق لم يميز أشكالهم لوقوفه بمكان بعيد عنهم، لكنه ميز أن إحدى الجثث لطفل صغير الحجم..

حين بدأت النيران في الخمود نظر له شبيهه الأسود وابتسم له..

فتح عصام عينيه ليجد نفسه ما زال على مكتبه، مسح بيده على جبينه الذي تصبب عرقًا، وكأنه كان يقف أمام نيران حقيقية، شرب قليلًا من الماء، وأخذ يفكر فيما رآه وما معناه..

وبينما كان على تلك الحالة تذكر انتظار زوجته وابنته له في النادي، نظر في ساعته ليجدها الثانية عشر منتصف الليل..

هو لا يصدق أنه أخذ كل ذلك الوقت في غفوته..

التقط هاتفه ليتصل بزوجته لكنه رأى عدة مكالمات منها ورسائل لم يسمعها لوضع الهاتف الصامت..

انتظر وفتح رسالة ليقرأ فيها..

الساعة الآن الحادية عشرة والنصف وأنت لا تجيب على هاتفك، أنت تتصرف بغرابة شديدة هذه الأيام، لقد قمت بالاتصال بطارق وسيأتي خلال دقائق ليعود بنا للبيت..

تعرق جبين عصام أكثر واتسعت عيناه وهو يقرأ الرسالة ويعيد ما رآه في حلمه..

قام بالاتصال بهاتف زوجته، وجده مغلق..

تسارعت نبضات قلبه وكأنه لا يتمنى أن يحدث لهم مكروه مثل ما كان يرجو من قبل..

قام بالاتصال على رقم طارق وتنفس الصعداء حين سمع صوته وهو يقول:

-أين أنت يا حضرة الضابط؟

قاطعه عصام قائلًا:

طارق، نجاة وعلياء بخير؟ أين هما؟!

أجابه طارق قائلًا:

-نجاة بجواري ولا تريد محادثتك، وعلياء غارقة في النوم بالمقعد الخلفي..

هدأت دقات قلب عصام قليلًا، وقال:

-الحمد لله..

قال له طارق أنهم سيكونون في المنزل خلال دقائق..

وقبل أن يكمل طارق جملته، سمع عصام صوت اصطدام شديد انقطعت على إثره المكالمة..

توقف قلب عصام عن النبض وشعر برعشة شديدة أصابت كل جسده..

وهو يصرخ:

-طارق! ماذا حدث؟

-طاارق..

-طاااارق..

خرج عصام من مكتبه مسرعًا، صعد سيارته واتجه إلى منزله وهو يحاول مرارًا وتكرارًا معاودة الاتصال بطارق مرة أخرى لكن تجيبه الرسالة المسجلة بأن الهاتف مغلق أو غير متاح..

كاد أن يفقد عقله وهو يفكر فيما حدث..

إلى أن وصل لمسافة قريبة من بيته ليجد حادثًا مروعًا..

اصطدام شاحنة بضائع كبيرة بسيارة ملاكي والاثنان يحترقان وقد التف حولهم عدد من الناس بطفايات حريق لمحاولة السيطرة على النيران المشتعلة، ولكن النيران كانت قد التهمت كل من فيهما..

اقترب عصام بخطوات مترددة يسير ببطء كشعوره ببطء نبضات قلبه الذي كاد أن يتوقف حين تيقن أن السيارة في الحادث هي نفسها سيارة طارق..

جثى على ركبتيه وأخذ يصرخ باكيًا على زوجته وابنته في حسرة وندم..

برغم علمه أن الأولى خائنة والثانية ليست من صلبه..

لكن هو يرى الآن أمام عينيه حياته كلها تحترق، سيلوم نفسه كثيرًا لأنه سبب في ذلك..

وقد أصبح أكثر يقينًا أن القاتل بداخله..

*****

الفصل الثامن

هند

في التاسعة صباحًا يسمع عمار طرقات على باب شقته وصوت حسام وهو يضحك وينادي عليه:

-عمار.. عمار!

فتح الباب ليقوم حسام باحتضانه وهو يصيح في بهجة قائلًا:

-لقد حصلنا على الشهادة الثانوية.. أخيرًا سنرتاد الجامعة ونصادق الكثير من الفتيات..

ضحك عمار وهو ينظر لحسام الذي بدا كمهرجي السيرك وقال:

-أذلك أقصى طموحك للجامعة، مصادقة الفتيات؟! اهدأ قليلًا وأخبرني هل أتيت بنتيجتي معك؟

أجابه حسام:

-نعم، أنت تزيد عني باثنين بالمائة أيها الوغد..

وتابع قائلًا:

-لقد حصلت على الشهادة الثانوية بمجموع ثلاثة وثمانين بالمائة.

قام عمار بالقفز فرحًا..

وأخذا يقفزان ويدفع كل منهما الآخر في فرح..

قال حسام:

-سنلتحق بنفس الجامعة أنا وأنت وياسين..

نظر عمار لحسام وقال:

-هل سيكون ياسين معنا؟ ما مجموعه؟

أجابه قائلًا:

-نعم، بنسبة كبيرة سيكون معنا، فهو رغم كل ما بذله من جهد حصل على تسعة وثمانين بالمائة بفرق عدة درجات عنا..

قال عمار في سعادة:

-الأمر الهام الآن أننا نجحنا، هذا شيء يجلب السرور، لقد انتهينا من الدراسة في المرحلة الثانوية أخيرًا..

تسمر عمار ثوان في مكانه ثم أسرع إلى الشرفة، ففتحها ونظر على شرفة هند فرأى أنها ما زالت مغلقة..

دخل وهو يقول في نفسه يا تُرى ماذا فعلتِ يا حبيبتي..

يريد عمار أن يطمئن أنها ستكون معهم في نفس الجامعة..

هو يعلم أنها لن تبتعد عنه، لكن ماذا يفعل في قلبه المتلهف للاطمئنان عليها..

أخذ ينظر من الشرفة كل بضع دقائق حتى لمحها قادمة مع إحدى صديقاتها في بداية الشارع فترك حسام المشغول بالبحث عن طعام، وهبط درجات السلم مسرعًا، اجتاز الشارع للجهة المقابلة في لهفة وانتظرها في مدخل عمارتها، كانت المرة الأولى التي تسول له نفسه القيام بذلك، وكان يرتعد خوفًا من أن يراه أحد من عائلتها أو حتى جيرانها وهو يقف هكذا، لكنه كان على استعداد للمجازفة ليطمئن قلبه عليها، وكذلك ليشاركها فرحتها في يوم كهذا..

دخلت هند مدخل العمارة وقد تفاجأت بوجود عمار، امتلأت أساريرها برؤيته ثم قالت في رقة وهدوء:

-عمار.. ماذا تفعل هنا؟

أجابها وهو ينظر لعينيها قائلًا:

-جئت لكي أخبرك أني قد اجتزت المرحلة الثانوية بمجموع ثلاثة وثمانين بالمائة

قالت هند بدورها:

-ألف مبروك يا عمار! لقد أسعدتني بهذا الخبر الجميل..

قال لها متلهفًا:

-وأنتِ؟

قالت:

-أنا أيضًا نجحت بمجموع سبعة وثمانين بالمائة..

تهلل وجهه فرحًا وقال لها:

-إذن سنكون معًا في نفس الجامعة..

أخذا يتحدثان كثيرًا واتفقا أن يقدما في كلية التجارة جامعة القاهرة، ليكونا بجانب بعضهم طيلة الوقت..

قد سرقهم الوقت وهم يقفون هكذا يتبادلون الأحاديث ونظرات الحب بينهم لا يريد كل منهما ترك الآخر، لكن ما إن سمعا خطوات نزول أحد ما على درجات السلم، حتى ارتبكا وقام عمار بتوديعها وخرج من العمارة في اتجاه عمارته مسرعًا..

وأول ما قام بفعله عند وصوله الشقة، كان الدخول إلى الشرفة ليراها هي الأخرى تفتح شرفتها ليطمئن كل منهما على الآخر..

اعتاد كل من هند وعمار خلال أيام الإجازة على أن يتقابلا مرة كل أسبوع في أماكن عامة يتحدثان عن مستقبلهم وأحلامهم معًا ومتى أحب كل منهما الآخر، كان كل يوم يمر عليهم يزيدهم تعلقًا ببعضهم البعض حتى أصبحا يرون بعضهم كل يوم بأي طريقة..

انتهت الإجازة ودخل أربعتهم كلية التجارة جامعة القاهرة..

وهنا كانت لهم حرية أكثر في اللقاء، وأصبح لدى هند هاتف خاص بها ليتحدث كل منهما إلى الآخر وقتما شاء.. ولكن في أوقات يحددونها مسبقًا لكيلا يلاحظ أحد من عائلة هند أي شيء غريب عليها..

***

تجلس هند في غرفتها التي يكسوها اللون الوردي الفاتح الذي يدل على الحب والجمال، والإحساس المرهف لديها، تفكر في عمار الذي أصبح وقد امتلك قلبها تشاركه أحلامها الجميلة، فهي تفكر في ليلة زفافهما من الآن، وتبتسم خجلًا عندما تتخيل ما يتبع ذلك من أحداث في حياة يقتسماها معًا ومستقبل مليء بالفرح والسعادة، تحلم باليوم الذي تمسك فيه يده بأناملها الناعمة أمام الجميع وتقول «هذا زوجي حبيبي»..

وبينما هي كذلك تسمع طرقات على باب غرفتها وتدخل أمها قائلة:

-هند، أمامك خمس دقائق لتبدلي ثيابك تلك وترتدي شيئًا أنيقًا، فلقد أتت السيدة أنعام زوجة عمك حسني صديق والدك لرؤيتك..

نظرت هند لأمها وهي لا تفهم شيئًا، ولكن نفذت ما طلبته منها بهدوء..

ارتدت فستانًا جميلًا تزينه الورود بدا في غاية الجمال عليها، جعلها تبدو كزهرة ناضرة وسط بستان من الزهور، خرجت لتجلس معهم في غرفة الجلوس..

وما إن رأتها السيدة أنعام حتى ابتهجت أساريرها وقالت:

-بسم الله ما شاء الله تبارك الله..

وتابعت وهي تغازلها:

-ما كل هذا الجمال يا هند؟ لقد كبرتِ وصرتِ عروسًا..

احمر وجه هند خجلًا وهي تنظر إلى الأسفل تتشابك أصابع يدها ببعضهما البعض..

وقد استشفَّت من حديث السيدة أنعام أنها جاءت لتراها وتمهد الطريق لخِطبتها لابنها رائد ضابط الشرطة الذي يكبرها بخمس سنوات..

وما إن فهمت ذلك حتى استأذنت بالدخول لغرفتها وهي تسمع ضحكات أمها والسيدة أنعام بشأن خجلها..

أغلقت باب الغرفة خلفها وهي تشعر أنه تم وضع حمل ثقيل على قلبها كاد أن يعتصره..

تظن أنها تقترب من خسارة عمار لو تمت هذه الخِطبة..

في هذا اليوم لم تُجب على اتصاله في الوقت الذي اعتادا عليه..

لم تكن تعرف، أتخبره بما حدث أم تنتظر ما ستؤول إليه الأمور في الأيام المقبلة..

لكنها في اليوم التالي عندما قابلته في الجامعة قالت له ما حدث..

تحدث عمار في اندهاش:

-أنتِ ما زلتِ في السنة الجامعية الأولى، كيف يسعون لخِطبتك ولم تستكملي دراستك بعد؟

قالت هند:

-أنا لا أريد الزواج بأحد غيرك يا عمار، ولكن كيف سأقول ذلك لأبي وأمي؟

لمعت عين عمار وقال لها لن تقولي شيئًا..

صمت بعض الوقت ليجد نفسه يفكر في صديقه القديم..

شيء ما بداخله يحثه على طلب مساعدته ويقول هو يقتل من أجلي فمن الممكن أن أجعله يبعد ذلك الشاب فقط عن هند لكن دون أن يؤذيه..

وجد عمار نفسه وكأنها تحدثه قائلة سيكون من الجيد انزلاقه من على درجات السلم في ذلك اليوم الذي سينوون المجيء فيه إلى منزل هند..

وقتها ستنكسر قدمه وسيعتقد أن هذا الزواج غير ميسر له وسيبتعد عنها، وإن فكر في المحاولة مجددًا ستكون رقبته التي ستنكسر هذه المرة..

انتبه عمار لهند وهي تحدثه:

-عمار، ليس هذا الوقت المناسب لتسرح بخيالك عني وتتركني في هذه الورطة..

نظر إليها مبتسمًا وقال:

-لا تشغلي بالك بهذا الموضوع مجددًا، لن يحدث شيء ولن تتم خِطبتك لأحد غيري أبدًا.. لكن الآن عليك أن تجعليني أرى ذلك الضابط..

قالت وهي مُستغربة طلبه:

-ولم تريد أن تراه؟

قال لها إنه سيحدثُها بما يجول في خاطره فيما بعد..

هزت هند رأسها بالموافقة..

بعد مرور أسبوعين تلقى السيد كمال والد هند اتصالًا من صديقه حسني ليحددا موعدًا لزيارتهم، واتفق كل منهما على أن تكون في نهاية الأسبوع الجاري..

تلقى يومها عمار اتصالًا من هند تخبره بما حدث..

طمأنها عمار في ثقة وقال لن يحدث شيء..

وفي اليوم المحدد وقد تم تجهيز كل شيء للضيافة، تلقى السيد كمال اتصالًا من صديقه السيد حسني اعتذر فيه عن المجيء في الموعد لالتواء قدم رائد وانزلاقه أثناء نزوله على السلم وهم قادمون إليهم..

وقد دارت في نفوس عائلة رائد أحاديث كثيرة أنه يبدو وكأن في هذه الخطبة نذير شؤم، بدليل ما حدث لابنهم، وعندما صرح الأب بما يخالجه في نفسه قالت الأم والابن من بعدها أن هذا بالضبط ما دار في أنفسهم أيضًا..

هنا أخذ عقل هند يفكر في أمر عمار عندما علمت بعدم حضور عائلة رائد

لخطبتها وأنه كيف فعل ذلك ومنعهم من القدوم..

هي كانت ستستسلم لكونها مجرد صدفة لكن طريقة تحدث عمار لها وثقته التي ظهرت عليه وهو يقول لها، أنه لن تكون هناك خِطبة ولن يأتون إليكم جعلها في حيرة كبيرة تكاد تجن بسببها..

*****

الفصل التاسع

قرار لا إرادي

يقف عصام باكيًا برفقة بعض أفراد عائلته وعائلة زوجته، بعد الدفن وهو ينظر إلى المقابر ويقول لها في نفسه لا أعلم لم أذرف تلك الدموع على خائنة وابنة ليست من صلبي، فبعد ما علمته لم أكن أتمنى أن تكون هذه نهايتكم أبدًا..

أخذ ينظر إلى المقابر طويلًا، إلى أن رأى صور زوجته وابنته وقد تجسدت عليها..

أخذ يبكي كثيرًا من الخوف ممن سيصبح عليه بعد الآن، هو تأكد أنه يستطيع قتل أي شخص يريده بمساعدة شبيهه..

اقترب بعض الأشخاص لمواساته وبعد انتهاء اليوم حاول أحد أفراد عائلته أخذه معهم لكنه أبى وعاد إلى بيته..

أخذ يسمع صوت ابنته في كل مكان، أخذ يسمع بكاءها وهي تقول:

-بابا، المكان مظلم وبارد هنا، لم فعلت بنا هذا؟

أخذ يرى أحلامًا فيها نجاة وهي تحاول التهوين عليه مما هو فيه..

كاد يختنق بحبال تأنيب ضميره التي تلتف حول عنقه تارة.. وبين الشعور بالرضا والسعادة بانتقامه منهما تارة أخرى..

كأن بداخله شخصيتان متناقضتان وهو تائه بينهما..

لم يعد قادرًا على استكمال إجازته التي حصل عليها من عمله، وعاد إلى المكتب في اليوم الثالث..

أثناء جلوسه في المكتب رن جرس الهاتف.. رفع السماعة بكسل ووضعها قريبًا من أذنه وقال:

-النقيب عصام..

رد في الجهة المقابلة زميله عاطف يقول:

-صباح الخير يا عصام بيه.. أعلمت بما حدث؟!

أجابه بتصنع الاهتمام:

-ما الأمر يا عاطف؟

-أنا في المحكمة الآن، وقد تمت تبرئة المجرم «صابر»، المتهم في قضية استغلال الأطفال والإتجار بهم..

اعتدل عصام في جلسته فور سماع ما قاله عاطف وقال:

-ماذا تقول؟! كيف تمت تبرئة هذا الحقير؟؟

أجابه الأخير:

-بنت المحكمة قرارها لعدم توافر الأدلة الكافية لثبوت التهم الموجهة لهذا المجرم..

انتهت المكالمة وقد استشاط عصام غضبًا وأخذ يسب ضعف القانون أمام هؤلاء المجرمين..

رفع سماعة هاتفه وطلب كل ورقة لها علاقة بتلك القضية وآخر ما توصلت إليه المباحث في هذا الشأن.. لم يمر وقت طويل حتى جاءه أحد الصولات بملفات هذه القضية، أخذ يقرأ فيها ويقرأ حتى كاد أن ينفجر

صدره غلًا من هذا المجرم..

انتهى منها وهو ينوي مراقبته بنفسه، وقد فعل..

بعد عدة أسابيع من العمل الشاق والبحث خلف هذا المجرم توصل عصام إلى معرفة طريقة عمله القذر، وكيف يدمر حياة هؤلاء الأطفال لنيل المال والنفوذ..

وفي إحدى الليالي قام عصام فزِعًا وقد امتلأ جسده بالعرق عندما رأى شبيهه أمام جثة متدلية من سقف إحدى الغرف وقد التف حول عنقها حبل غليظ أبيض، أثار فزع عصام أنها كانت جثة الرجل الذي يراقبه منذ فترة صاحب تجارة أطفال الشوارع «صابر»..

اختنق عصام مما رأى، لقد بات يعلم ما سيترتب على رؤيته لهذا الحلم..

لم يريد ذلك؟ لأنه بالفعل قام بجمع أدلة كافية لإدانة الرجل أمام المحكمة..

شعر عصام أن ما حدث كان عكس إرادته، لكنه ما زال حلمًا قد لا يتحقق، لكن ما يقلقه أنه سبق وتحقق في مرات سابقة..

في اليوم التالي تلقى اتصالًا من أحد زملائه في العمل يخبره أنه تم الإبلاغ عن حادث انتحار لهذا الشخص، وأن الخادم وجده هكذا عندما حضر إلى عمله في الصباح..

فسر الجميع ذلك على أنه رد فعل سريع ممن كانوا على علاقة به في تجارته تلك، فالجميع كان يخشى أن يعترف عليهم ويُفضح أمرهم، إن لم يقدروا على الدفاع عنه وتبرئته من تلك التهم، ولكن مهما حدث فإنه أصبح بطاقة محروقة لدى أنظمة الأمن بالنسبة لهم، ولن تتركه الشرطة يعود لحياته السابقة، بل ستقوم بمراقبته والتضييق عليه حتى تعثر على أدلة قوية تدينه، وهذا بالتأكيد سيسبب خطرًا لأصحاب النفوذ هؤلاء..

أغلق عصام مع زميله وهو متجمد في مكانه، قد توقف عقله عن

التفكير..

أغمض عينيه وتحدث بصوت عال قائلًا:

لمَ تفعل ذلك؟

ولم أنا الوحيد الذي يراك؟

لماذا يموت الجميع حولي؟

أخذ عصام يصيح ويصيح وهو لا يعلم حقًا لمن يوجه حديثه، لكنه قد ضاق به صدره حد الانفجار..

سمع صوتًا ما، لا يعرف مصدره، كان يتردد حوله وكأنه يجيبه..

-أفعل ذلك من أجلك أنت!!

-أنت تراني لأننا كيان واحد!!

-لم نقتل الجميع..

-يموت فقط من تريد أنت موته!!

-أنا لا أفعل شيئًا بمفردي.. أنت تساعدني!!

واختفى الصوت..

صمت عصام لثوان كأنه يريد التأكد من الصوت..

لكنه لم يستمع لأي شيء آخر..

قال بصوت فيه استسلام وخضوع..

-أصبحت أهلوس الآن!

أخذ يبكي..

قطع بكاءه الصوت يقول:

-لماذا تبكي وعلى من؟

-أنت قتلت زوجتك الخائنة وابنة ليست من صلبك..

-ومجرمين لطالما قتلوا وعثوا في الأرض فسادًا..

أخذ عصام يتلفت في الغرفة حوله وهو يضع يده على أذنه وهو يقول:

أين أنت؟ اظهر لي إن كنت حقيقة..

وتابع قائلًا أنا لم أقتل أحدًا.. أنت من قتل الجميع!

تلقى عصام الرد على الفور بذاك الصوت يقول..

قلت لك أنا وأنت كيان واحد لا يفرقنا غير الموت،

فقط الموت!!

ارتجف عصام حين نظر إلى الغرفة ولا أحد فيها غيره، حسنًا أنا جننت وأتحدث إلى العدم الآن..

ظل على حالته هكذا حتى نام..

جاءه صوت من بعيد يعرفه جيدًا يقول له:

-لا تستمع له يا عصام، إنه مخادع، إنه يخلط عليك الأمور لإرباكك..

-هو من يحدثك وليست نفسك..

-إنه يعلم ما تفكر به..

-ويزرع أفكاره الخبيثة في عقلك دون أن تشعر..

-إنه قريب جدًا منك لدرجة أنك لا تفرق بينك وبينه..

-انظر لوجهي، نعم هو من فعل بي ذلك وليس أنت..

استيقظ عصام من نومه مفزوعًا وقد رأى نجاة زوجته وهي تقول له تلك الكلمات، إلا أنها حين اقتربت منه أفزعه وجهها المحترق الذي لم يعد

واضحًا منه أية ملامح..

أخذ يفكر كيف علمت نجاة بالصوت الذي يسمعه.. وكيف تأكدت أنه ليس حديثه مع نفسه..

أخذت كلماتها تتردد في عقله ليأتي ذلك الصوت مرة ثانية ويقول له:

-أنت حقًا جننت.. أتظن أن نجاة التى قتلتها حرقًا جراء خيانتها لك ستأتي لتنصحك؟

-ما هي إلا خائنة فلا تعِر رؤيتك لها اهتمامًا..

صرخ عصام وهو يضع كلتا يديه على أذنيه ويقول: اصمت! كفى حديثًا.. كفى! لم أعد أحتمل ذلك..

في اليوم التالي تذكر عصام أنه لم يقم بزيارة وتعزية ريهام زوجة طارق فاتصل بها وأخذ موعدًا لزيارتها..

همس له الصوت بداخله..

-كم هي رقيقة وجميلة ريهام، أنت تريد التقرب منها لتفعل بها ما فعله طارق بنجاة أليس كذلك؟

-هي وحيدة الآن مثلك، وبضع كلمات حنونة منك ستجعلها تلين لك وتحبك، وأنا سأساعدك على ذلك بطريقتي..

قال عصام في نفسه: اصمت أيها الوغد! اصمت.. هذا ما تريده أنت وليس أنا..

ذهب عصام في الموعد واستقبلته ريهام وهي ما تزال ترتدي اللون الأسود على زوجها طارق..

قال لها:

-كيف حالك يا ريهام وكيف حال الأولاد؟

أجابته قائلة:

-نحن بخير جميعًا..

وتابعت:

-هم كل ما تبقى لي في هذه الحياة بعد طارق رحمه الله..

ردد عصام خلفها بامتعاض: الله يرحمه!

ثم بادلته السؤال وقالت:

-وأنت كيف حالك يا عصام؟

قال وهو يهز رأسه:

-بخير.. لقد تركت كل من نجاة وعلياء فراغًا كبيرًا في حياتي.. أشعر أني سأجن..

قالت له:

-أنا كنت بجانب طارق عندما حدثته نجاة على الهاتف تلك الليلة ليوصلها إلى المنزل بعد عدم ذهابك لهم..

ثم نظرت في عينه وقالت:

-كان يحبك جدًا، دائمًا ما كان يقول عصام ليس زميلي في العمل وحسب، لكنه بمثابة أخي..

-لطالما أوصاني قبل ذهابه في مأموريات العمل أنه لو حدث له سوء واحتجت لشيء ألا أتصل بأحد غيرك..

عصام لا يصدق ما يسمع..

أكان طارق يحبه كل هذا الحب حقًا؟

أم كانت مجرد كلمات أخرجها لإسكات ضميره الذي يؤنبه بما يفعله في

ظهره؟

حتى ذكرت ريهام موقفًا حدث مع علياء أثناء سفرهم في مطروح أراد عصام بعد سماعه أن يضرب رأسه بالرصاص..

حين قالت:

-أتذكر تلك الليلة التي جئت فيها إلينا في مطروح؟

قال لها:

-نعم..

قالت:

-في ذلك اليوم نجاة وعلياء تناولتا الغداء معنا وبعد جلوسنا معًا لساعات أرادت نجاة أن تعود لغرفتها، لكن علياء رفضت وكانت تريد أن تبقى وتلعب مع الأولاد، حينها قال طارق لنجاة اذهبي أنتِ وأنا سآتي بها بعد قليل..

-في ذلك الوقت جاءت علياء وارتمت في حضن طارق وتحدثا عنك كثيرًا وأنها غاضبة منك لأنك تحب العمل أكثر منها وأخذ طارق يقول لها عن مدى أهمية عملك للحفاظ على أمن البلد والناس الضعفاء، وأنه لولاك ما كان يستطيع الأطفال في سنها الذهاب مع عائلاتهم إلى النوادي ولا المدارس، حتى نامت بين يديه..

تناولت رشفة من القهوة في يدها وتابعت:

-بعدها صعد بها إلى غرفتها وعاد إلينا..

سرح عصام وعاد بخياله لتلك الليلة التى كانت أحاديث نفسه تحركه فيها، ورأى ما كان يريد أن يراه، وفسره بالطريقة التي أراد أن يفسرهُ بها، لإثبات خيانة صديقه وزوجته معًا، ثم تمتم في نفسه قائلًا وبعد كل هذا تبين الآن أن ما كنت أخاله يقينًا ما هو إلا محض افتراء..

رجع عصام إلى جلسته بعد أن سمع ريهام تنادي أولادها لمصافحته..

عانق كل منهما وهو يبكي بشدة، لأنه السبب في فقدهم لأبيهم حتى خرج لبكائه صوت وقامت ريهام بتهدئته وهي تناوله كوبًا من الماء..

ارتشف رشفة منه وهو يحاول التماسك، بعدها عاد لهدوئه وأخذ يلعب مع الأولاد لبعض الوقت، ثم استأذن بالرحيل، وأوصى ريهام ألا تتردد بالاتصال به في أي وقت متى أرادت شيئًا..

أخذ طيلة الطريق يفكر ويقول ماذا فعلت في زوجتك وابنتك وصديقك..

قتلت ثلاثتهم لأوهام في عقلك..

أنت مجرد مختل، مجنون!

سمع ذلك الصوت وهو يقول زوجة طارق مخدوعة كما كنت أنت من قبل..

هي لا تعرف حقيقتهم بعد..

أنت عقيم أنسيت ذلك؟ عقيم!

أخذت هذه الكلمة تتردد في أذنه حتى وصل إلى شقته القديمة..

وهو يفكر في كل ما سمعه من ريهام..

وفي نفس الوقت يفكر أنه كيف لديه ابنة وهو عقيم..

أخذ يبحث عن ورقة التحاليل التي تقول أنه عقيم في كل ركن في الشقة لكنه لم يجدها..

في اليوم التالي ذهب إلى شقته الأخرى وأخذ يبحث فيها أيضًا لكن دون جدوى..

لم يتبق له سوى الذهاب لذلك المختبر ويستخرج نسخة أخرى لكن

الغريب أنه عندما وصل لذلك المكان الذي جاء إليه من قبل لم يجد أي مختبر..

وجد أمامه مبنى مهدم يبدو عليه القدم.. وعندما سأل عن المختبر أجابه أحد الأشخاص المجاورون لذلك المبنى أنه لا يوجد أي مختبر تحاليل قريب من هنا، وعندما قال له عصام أنه كان هنا من أسابيع قليلة ودخل إلى المبنى المهدم هذا وكان به المختبر في الدور الثاني..

أجابه الرجل قائلًا أن هذا المبنى مهدم منذ ثلاث سنوات لوجود قضايا بين الورثة عليه، وقد كان به مستوصف قديم به مختبر ولكنه لا يتذكر اسمه..

اندهش عصام مما قال الرجل!

تركه بدون استئذان وركب سيارته وانطلق..

وقف عند أقرب مختبر، صعد مسرعًا وطلب تحاليل جديدة ليفاجأ بالنتيجة التي تقول..

*****

الفصل العاشر

تبادل الأدوار

في الصباح التقى كل من عمار وحسام وياسين بهند التي كانت تنتظرهم داخل الجامعة أمام مبنى كلية التجارة تنظر إلى عمار من حين لآخر، ما زال يشغلها كيفية منعه للشاب رائد وعائلته من زيارة أهلها لخطبتها ولكنها اكتفت بتلك النظرات دون أن تتفوه بكلمة..

شعر عمار أنها ليست على طبيعتها فبادر بسؤالها:

-هند..

التفتت له في صمت..

لتكتشف بها ما يفعله وقالت بصوت تدّعي فيه الاختناق:

-لقد ضايقني بعض الشباب قبل قُدومكم..

قال عمار وحسام في صوت واحد:

-ماذا؟ قولي لنا من هم..

نظرت هند يمينًا ويسارًا كأنها تبحث عن الهدف، ثم اختارت بعض الشباب المعروفين بالفعل بمضايقتهم للفتيات، نعم لم يسبق وضايقوها هي شخصيًا، لكن ذلك لم يمنع هند من تنفيذ حيلتها عليهم واستقرت على أن يكون هؤلاء الشباب فئران تجارب لحيلتها..

ظنت أنها عندما تورط عمار في شجار ما فهو سينسحب وسيستخدم قوته الخفية التي استخدمها ضد رائد..

أما إذا ذهب ليتشاجر مع هؤلاء الشباب مباشرة فستعلم أن ما حدث لرائد وعائلته كانت مجرد صدفة..

فقامت بالإشارة على هؤلاء الشباب فتوجه لهم عمار وحسام بينما ظل ياسين في مكانه يلعب دور المشاهد، فهو ذو جسد ضعيف على أية حال..

دخل عمار وحسام في شجار مباشر مع هؤلاء الشباب وسط حيرتهم وسؤالهم عن السبب لكن أبى كل من عمار وحسام أن يعطوهم فرصة لهذه الأسئلة، ولم يتوقف الفريقان إلا بنزيف دماء الجميع، بعد تدخل أكثر من طالب لفض الاشتباك، قبل وصول الأمن الجامعي..

نزف عمار من فمه، بينما تورم أسفل عين حسام قليلًا بعدما تلقى لكمة قوية من شاب ضخم البنية..

أما الشباب فقد تلقوا أيضًا درسًا قاسيًا لن ينسوه رغم عدم علمهم بسبب الشجار..

وعندما رأوا هند تقف مع عمار وحسام ألقى كل منهم على الآخر تهمة

الإساءة إليها، مما دفع أصدقاءها للشجار معهم..

كل ذلك حدث فقط لتستكشف هند أمرًا..

يا له من تفكير وكيد عظيم لديها..

ولكن كيد هند هنا نابع عن حب لا عن كره وقسوة، وشتان بين الاثنين..

اطمئن قلب هند التي أسرعت إلى عمار وأخذته لتضمد جرحه أمام إحدى صناديق الإسعافات الأولية..

ينظر لها حسام بحنق وهو يقول:

-ألم أتشاجر أنا الآخر من أجلك!

هنا اقترب منه ياسين ساخرًا..:

-أنا سأعتني بك أيها الشجاع..

أزاحه حسام بيديه قائلًا:

-ألم يجدر بك أن تشاركنا في الشجار أفضل؟

أجابه ياسين بسخرية:

-أنا لا أعرف شيئًا عن الشجار.. أنا لست مثلكم أيها البغل.

فضحك الجميع..

التفت حسام ناظرًا لهند هامسًا: لمَ يأخذ عمار كل اهتمامك أيتها الوغدة؟

نطق بغير قصد السباب الأخير، فانتبهت له هند فأجلسته بجوار عمار وناولته عبوة عصير لا تزال تحتفظ بالقليل من البرودة ليضعها تحت عينه ليخفف من تورمها..

حضروا بعض المحاضرات وظلت هند طيلة اليوم تنظر إلى عمار، يؤنبها ضميرها فهي من أقحمته في ذلك الشجار بدون سبب..

نظرت له بحنان وحدثته قائلة:

-أنت بخير الآن؟

التفت لها باسمًا بعد رؤيته لتعابير القلق والحنان على وجهها ثم قال:

-حبيبتي أنا بخير لا داعي لهذا القلق..

احمر وجهها خجلًا وقالت بصوت هادئ:

-الحمد لله..

كان كل من حسام وياسين يقفان بعيدًا عنهم بمسافة لا تمكنهم من سماع ما يقولاه..

في المساء وبعد مغادرة حسام من شقة عمار، وجد عمار رسالة على هاتفه من هند تقول فيها..

-أحبك كثيرًا

ابتسم عمار بعد قراءته وقام على فوره بالاتصال بها..

عندما أجابته وسمع صوتها قال:

-لن أقول لكِ وأنا أحبك أيضًا مثلما يفعل الجميع.. فجميع الشباب يمطرون آذان حبيباتهم بمئات الكلمات عن الحب، لكني لن أقولها لكِ مئات المرات بل سأجعلك تشعرين بها في آلاف المواقف بأفعالي وليس بكلماتي.. الكثير يجيد التحدث عن الحب لكن القليل فقط من يعرف كيف يحب..

قاطعه صوت هند وهي تقول بخجل:

-لكني أريد أن أسمعها منك في كل ثانية..

ضحك عمار عند سماعه ذلك وقال بصوت صادق:

-أحبك كثيرًا يا هند، أحبك قولًا وفعلًا وشعورًا..

سألته هند قائلة:

-عمار قل لي ما هو الحب؟

أجابها عمار بما شعر أن قلبه ينطق به دون تفكير..

-الحب ألفة.. انجذاب بدون سبب.. تضحية بدون مقابل.. تفاهم.. مشاركة في الأوقات الصعبة قبل اليسيرة.. الحب ألم ووجع.. عتاب وخصام.. اهتمام.. قلب يُحلق عاليًا من كلمة أو نظرة.. الحب هو تلك التفاصيل الدقيقة التي يراها غير المحبين مملة.. لغة لا يعلمها غير اثنين مُتحابين حتى لو تحدثا بها أمام العالم.. الحب إحساس أرقى من أن تصفه كلمات.. هو تلك المشاعر التي تولد بداخلنا ونعجز أن نصوغها في كلمات فنصمت.. الحب هو تلك النظرة التي أراها في عينيكِ كلما التقينا يا حبيبتي..

انتهى عمار وانتظر رد هند التي ظلت صامتة لثوانٍ، ثم تنهدت وقالت:

-أتريد أن تحرمني من تلك الكلمات لتريني الحب في أفعالك، لا أنا لن أقبل بذلك.. أحتاج لسماع هذه الكلمات دائمًا، ولتذهب الأفعال للجحيم..

فضحك الاثنان وقال عمار:

-سأحبك كيفما شئتِ.. ما المانع إن صنعنا طريقة حبنا الخاصة؟

ظل الاثنانِ يتبادلانِ أطراف الحديث لوقت طويل..

بعد انتهاء المكالمة استلقى عمار على فراشه هائمًا، يعيد كلمات هند في نفسه مرات ومرات، قلبه يخفق من شدة عشقه لها..

حتى استسلم للنوم لعله يحلم بها..

بعد ساعات قليلة استيقظ عمار فزِعًا مصفرًا وجهه، يلتقط أنفاسه بصعوبة، يقوم مسرعًا لينظر لنفسه في المرآة يتحسس وجهه بيديه..

يراجع في رأسه ما حلم به..

أنه قد رأى نفسه يتشاجر مع الشباب في الجامعة مرة أخرى، كان يقف

بعيدًا بجوار جدارٍ ما، يشاهد نفسه وهو يُبرح هؤلاء الشباب ضربًا انتقامًا منهم لجرحه..

كانت المرة الأولى التي لا يرى فيها شبيهه الأسود، بل كان هو عمار بشكله ولونه وهيئته من يتشاجر في الحلم، كان يرى نسخة أخرى منه مطابقة له في كل شيء..

يرى نفسه يقوم بالشيء الذي كان يرى شبيه يقوم به..

كل ذلك لم يكن ليفزع عمار لهذه الدرجة، فقد تعرض لذلك أكثر من مرة، لكن ما أرعبه حقًا عندما نظر إلى مرآة معلقة على حائط يقف بجواره ليرى نفسه أسود الوجه ذي ملامح مختلفة بعض الشيء وكأنهم قد تبادلوا الأدوار..

هنا شعر عمار أن بإمكان أحد ما أن يسرق حياته، ويظل هو حبيس تلك الأحلام..

لم يتذوق طعم النوم بعد ذلك..

***

في اليوم التالي

يقف كل من عمار وهند برفقة حسام بالجامعة كما هي عادتهم..

عمار يقف مبتسمًا وقد قل قلقه عندما وجد أمامه الشباب الأربعة الذين قد حلم بهم بالأمس وليس بهم سوء، إلى أن سمع أحدهم وهو يقول بصوت مرتفع سنتقابل في النادي مساء اليوم، على الجميع إحضار ملابس السباحة..

لا يدري لمَ شعر بالقلق من ذهابهم للسباحة، يخاف أن يحدث لهم ما حدث للآخرين من شبيهه..

أخذ يردد في نفسه قائلًا، لا، أرجوك لا تفعل، أرجوك لا تفعل، اتركهم

وشأنهم، أنا لا أريد ذلك!

لا أريد!!

كاد أن يذهب إليهم ويحثهم على عدم الذهاب لكن ماذا سيقول!

هم ليسوا أصدقاءه، بل هو في نظرهم شخص مخبول قد تشاجر معهم بالأمس وأبرحهم ضربًا بدون سبب..

لاحظ كل من هند وحسام ملامح عمار الشاردة فوجهت هند له حديثها قائلة:

-عمار ما بك؟

-لا شيء.

قالها دون أن يلتفت إليها..

فتابع حسام حديث هند وقال:

-ما بك أيها الوغد؟ أنت تتصبب عرقًا..

انتبه عمار لحديثهم أخيرًا ومسح على جبينه الذي وجده يتصبب عرقًا بالفعل دون أن يشعر..

وقبل أن يمد يده في جيبه ليخرج منديلًا، ناولته هند البعض منها..

فجفف وجهه وقال:

-سأغادر.. أشعر بإرهاق شديد..

قالت هند:

-إننا ما زلنا في بداية اليوم، ولن أستطيع الرجوع إلى البيت الآن، هذا غير أنه يجب بقائي لحضور بعض المحاضرات الهامة..

قال موجهًا حديثه لكليهما:

-إذن ابقوا أنتم..

ثم نظر إلى هند وقال:

-قومي بالاتصال بي حين تنتهين لأطمئن عليك..

ردت عليه قائلة:

-سأقوم بالاتصال للاطمئنان عليك على كل حال..

همّ حسام بالذهاب معه قائلًا:

-أنا لن أتركك وأنت بهذه الحالة، سنغادر معًا..

ودع كل منهما هند وذهبا.. وفي طريق خروجهم لمحوا ياسين وهو يجلس في سيارة أحد دكاترة الجامعة ويتحدثا سويًا..

هم يعرفون أن ياسين يحب الاندماج والتقرب من جميع الدكاترة الذين يُدرّسون لهم..

نظرا لبعضهم البعض ثم أكملوا طريقهم..

***

استلقى عمار على الفراش حين وصل إلى شقته وظل نائمًا لوقت متأخر من الليل لا يشعر بشيء..

نظر إلى هاتفه عند استيقاظه ليجد أن هند قامت بالاتصال به بضعة مرات في أوقات متفرقة..

لكنه لن يحاول الاتصال بها لتأخر الوقت..

كان يشعر بجوعٍ شديد فدخل إلى المطبخ ليأكل ما يجده من طعام..

في اليوم التالي لم يذهب إلى الجامعة لاستمرار شعوره ببعض الإرهاق، هو لا يستطيع التركيز في أي شيء..

رن هاتفه فالتقطه مسرعًا ظنًا منه أنه من هند.. التي يحاول الاتصال بها

منذ استيقاظه ولكن هاتفها مغلق على غير العادة، فأصيب بخيبة أمل عندما وجد اسم حسام هو من يتصل.. أجابه قائلًا:

-حسام كيف حالك؟

-كيف حالك أنت يا صديقي؟ أما زلت تشعر بالتعب؟

-أصبحت بخير الآن..

قالها عمار وتابع:

-أرأيت هند اليوم في الجامعة؟

قال حسام:

-لا لم أرها.. يبدو أنها لم تأتي إلى الجامعة اليوم مثلك..

قال عمار باقتضاب لانشغاله على هند:

-حسنًا..

انتهت المكالمة بعدما أخبره حسام أنه سيمر عليه عند عودته من الجامعة..

*****

الفصل الحادي عشر

صدمة مفاجئة

يسير في توتر من غرفة نومه إلى الشرفة ومن الشرفة لغرفة المعيشة، يجلس حينًا ويمدد جسده على الأريكة حينًا آخر..

ظل عمار على تلك الحالة طيلة اليوم مشغولًا باختفاء هند وعدم إجابتها على مكالماته، كان يشعر بخوف من تعرضها لأمر ما لا يعرفه..

لم يُخرجه من تلك الحالة إلا حضور حسام بعد عودته من الجامعة..

فتح له باب الشقة في إعياء شديد فهو لم يأكل شيئًا منذ الصباح، لاحظ ذلك حسام حين رآه..

نظر إليه قائلًا:

-يبدو أنك كنت نائمًا طوال النهار..

قال عمار لحسام الذي توجه مباشرة نحو المطبخ:

-نعم.. وأتضور جوعًا..

قال حسام:

-لنرى ما تحتويه هذه الثلاجة..

ثم أخذ يردد..

-تونة..

-جبنة مثلثات..

-مايونيز..

-هذا عظيم!

ثم التفت إلى عمار قائلًا:

-سنحتاج إلى شرائح البصل..

أجابه عمار مشيرًا له فوق أحد الرفوف:

-ستجده هناك..

نظر حسام للمكان المشار إليه.. وقال:

-عظيم جدًا.. سأصنع لك طبق تونة بالجبن مع البصل والمايونيز..

وجد أن عمار لم ينتبه لحديثه فبدأ في إعداد طبقه الخاص في صمت..

أما عمار فكان يجلس في الغرفة لكن عقله بالخارج يبحث عن هند في كل الأرجاء، يتحسس أي خبر عنها، يخشى شعوره أنها في ورطة ما..

حاول تغيير ما يتردد على عقله فقال:

-ألم تر هند بعد حديثنا في الصباح؟

فأجابه حسام:

-لا، لم أرها طيلة اليوم..

أخذ عقل عمار يشغله قلقًا عليها، ويحدث نفسه قائلًا الأمر لا يحتمل غيابك هكذا يا هند فأنا بي من الهموم الأخرى ما يكفيني..

قصد عمار السر الذي يكتمه عن أقرب اثنين له في حياته، هند وحسام..

هو يخاف أن ينفضح أمره ويعاقب على شيء لا إرادة له فيه..

أو يكون مصيره مستشفى للأمراض النفسية ويُتهم بالجنون، فما من أحد سيصدق ما سيقول..

إن هذا السبب بالتحديد الذي جعله يكتم في نفسه كل ما يمر به ويتعرض إليه.. هو لا يعرف طريقة لإثبات أن شيئًا ما بداخله يفعل كل ذلك دون إرادته.. هو نفسه إن لم يكن هو المصاب بذلك وسمعه من شخص آخر لنعته حتمًا وبدون شك بالجنون..

فضلًا عن خوفه مما سيتعرض إليه من غضب أهالي مَن تسبب في موتهم، مثل زوجة أبيه وجاره المهندس توفيق..

لذلك هو يبقي الأمر سرًا ولا يتفوه عنه بشيء لأي شخص أيًا كان..

التقط هاتفه وقام بتشغيله، كان لا يتذكر أنه قام بإغلاقه في الصباح..

انفرجت أساريره عندما وجد أخيرًا رسالة من هند..

قبل أن يقرأ فيها..

-«عمار، لقد حاولت الاتصال بك كثيرًا اليوم، لإخبارك ما حدث لكن هاتفك دائمًا ما كان مغلقًا..

-لقد عاد رائد وعائلته مرة أخرى لخِطبتي!! لقد تفاجأت بقدومهم فلم يخبرني أحد قبلها.. وقد وافق أبي على الخِطبة دون الرجوع إلي، فهو والعم حسني أصدقاء منذ زمن.. وقد رتبا لذلك منذ سنوات، لهذا أصرّت عائلة رائد على الحضور رغم ما حدث لهم في المرة السابقة.. أنا في مأزق حقيقي ولن أستطيع الإفلات منه»..

انتهت الرسالة..

وضع حسام الطعام وهو يقول:

-هيا يا صديقي، طبق التونة هذا لا يقاوم هيا فهو ينادي عليك..

انتبه حسام لعمار الذي تجهم وجهه وهو ينظر إلى هاتفه فاقترب منه وهو يقول:

-ماذا حدث؟

التقط منه الهاتف وقرأ رسالة هند..

لم يعرف ما يقول بعدها، لكنه غضب لغضب عمار وأخذ يهون عليه ما حدث، ولكن عمار لم يجب عليه ولم يظهر أي ردة فعل.. لقد بقي صامتًا حتى رحل حسام الذي طلب المبيت معه، لكن الأخير أبى ذلك، أراد الاختلاء بنفسه..

غرق عمار في حزنه على هند حبيبته أن كيف لها بعد كل ذلك أن تتزوج بشخص غيره..

كان يرقد على فراشه في المساء حين سمع رنين هاتفه الذي لم يكن بجانبه فقد تركه بالخارج بعدما قرأ رسالة هند..

لم يكن ينوي النهوض ظنًا منه أن حسام المتصل ويريد الاطمئنان عليه، وبالفعل لم ينهض ولكنه وجد الهاتف يرن بإلحاح فنهض..

وما إن وصل له حتى التقطه في سرعة وأجاب:

-هند..

جاءه صوتها الحزين قائلة:

-عمار أريد رؤيتك الآن!

نظر عمار في الساعة المعلقة أمامه على الحائط وقد أشارت للعاشرة وخمس دقائق وقال:

-الآن!

قالت:

-نعم الآن.. سأقابلك بعد خمس دقائق في مدخل العمارة في الأسفل..

قال لها:

-حسنًا سأكون بانتظارك..

عدل ملابسه وبلل وجهه بالماء وأسرع بالنزول، وصل قبلها إلى مدخل عمارتها..

رآها تخرج من باب المصعد يبدو على وجهها البكاء كثيرًا..

وقفت أمامه صامتة قليلًا..

وهو مثلها، ولكنه كسر جمود الصمت وقال:

-عديني ألا تبكي مرة ثانية، فكل شيء سيكون بخير..

انفجرت عيناها بالبكاء وكأن كلمات عمار كانت بمثابة الهزة التي هدمت السد..

كان يريد أن يأخذها بين ذراعيه لكنه اكتفى بالتقاط يدها بين يديه يحاول تهدئتها..

نظرت له وقالت:

-لقد قاموا بتحديد موعد الزواج الشهر القادم..

وتابعت قائلة:

-أنت لن تتركني يا عمار أليس كذلك؟ افعل أي شيء بوسعك لعدم إتمام ذلك الزواج.. افعل أي شيء لنكون معًا..

ضغط على يديها ليطمئنها وقال:

-أنتِ لي وحدي يا هند، ولن أتخلى عنكِ أبدًا ما دُمت على قيد الحياة..

وتابع بغضب:

-حتى وإن وصل الأمر للقت...

توقف ولم يكمل كلمته فهو لا يريد أن يظهر أمام حبيبته أنه قاتل رغم كل ذلك..

ولا يعرف كيف خرجت منه هذه الجملة وجاءت إلى فكره..

أي جريمة قتل يستطيع أن يرتكبها أو حتى يرضى أن يقوم بها الشيطان بداخله..

هنا عاد من شروده فكرر الجملة مرة أخرى قائلًا:

-حتى وإن وصل الأمر للقتال، سأقاتل من أجلك يا هند..

في ذلك الوقت كان على هند أن تصعد قبل أن يلاحظ أحد من عائلتها نزولها في ذلك الوقت بدون علمهم..

فصعدت وعاد عمار إلى شقته وهو في كامل غضبه من ذلك الموقف غير المتوقع..

لم يجد ذلك الضابط إلا حبيبته ليتزوجها..

كان عمار يشعر بالحزن الشديد لاضطراره استخدام ذلك الشر بداخله هذه المرة بكامل إرادته..

أخذ يحفز نفسه كثيرًا لينتقم من هذا الضابط، ولكن الغريب أن الأيام أخذت تمر دون أن يحدث شيء، فلم يعد عمار يرى شبيهه في الحلم..

صديقه الذي ينتقم له من أعدائه..

كان يحفز نفسه في كل ليلة ليظهر له لكن دون جدوى، كأنه اختفى من حياته بلا رجعة..

مرت الأيام سريعًا وجاء موعد زفاف هند..

كاد عمار أن يُجن لما لم يعد يستجيب ذلك الشبيه له..

وأين ذهب..

على الجهة الأخرى مرت الأيام على هند وهي تنتظر من عمار أن ينقذها من ذلك الزواج لكن طال انتظارها حتى يئست..

لقد أرهقتها الصراعات الدائرة بين قلبها وعقلها..

أحدهم يريد أن ينتظر الحب ويرفض فكرة التخلي عنه..

والآخر يشككها في رغبة الآخر في إنقاذها أيضًا وكأنه يقول لها، وما يدرينا لعل ذلك الشخص الجديد يكون مصدر سعادتنا ونرى معه الحب الحقيقي..

ولعله هو ما قدره الله لنا..

في النهاية استسلمت هند للأمر الواقع بعدما شعرت أن عمار بالفعل قد تخلى عنها..

جاء يوم الزفاف ولم يكن بيديها أي شيء لتفعله، كانت تجلس بجانب

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية

والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

رائد وتتخيل عمار في مكانه ولم تمر ثوان حتى رأت عمار يدخل إلى القاعة وهو يصرخ في الجميع ويقول:

-لا..! لن يتزوجها أحد غيري أنا حبيبها، لن يتم ذلك الزواج بدوني!

رأته وهو يقترب من رائد قائلًا:

-اترك هذا المكان فوزًا، أنا من سيتزوجها، لن تجبروها على الزواج بشخص لا تحبه..

وجلس على مقعد رائد وأمسك بيديها وهي تنظر إليه في سعادة غامرة..

ترى على وجوه الجميع الاندهاش مما فعل عمار، ولكن الجميع استسلم لإرادتهم في النهاية..

هند!!

هند!!

عادت هند من شرودها لترى أنها ما زالت تجلس بجانب رائد الذي يطلب يدها ليلبسها خاتم الزواج وسط زغاريد الحضور..

علمت هند أنها الآن أصبحت زوجة الضابط رائد رسميًا، الذي أخذها بعد الزفاف مباشرة لقضاء شهر العسل في إحدى الشواطئ السياحية..

في ذلك الوقت كان عمار قد فقد كل ما بداخله من طاقة، وكأن حب هند كان الهواء الذي يعيش به..

أصبح حزينًا وصامتًا أغلب الأوقات رغم كل محاولات حسام بالتخفيف عنه وإعادته لطبيعته مرة أخرى..

مرت الأيام ثم مرت الشهور على تلك الليلة، وقد اعتاد كل منهما على حياته الجديدة وأصبحا لا يعرف أحدهم شيئًا عن الآخر.. وفي صباح أحد الأيام كان عمار يجلس أمام الشرفة وقد أعد كوبًا من الشاي بجانبه كعادته..

حين سمع صوت طرقات قوية ومنتظمة على باب شقته..

فأسرع وهو يقول:

-حسنًا لحظة واحدة أنا قادم..

عندما فتح وجد عدة أشخاص ضخام البنية يقول له أحدهم في حدة:

-أنت عمار حمدي؟

أجابه عمار:

-نعم أنا.. من أنتم؟

أجابه رجل آخر:

-نحن من الشرطة، تفضل معنا..

قال عمار:

-معكم إلى أين ولماذا؟

أجابه أحدهم في حدة وبنفاد صبر:

-ضابط القسم يريدك..

قال لهم عمار وقد شعر ببعض الارتباك:

-لماذا يُريدني؟ أنا لم أفعل شيئًا..

قال اثنان منهم دفعة واحدة:

-هيا معنا وستعلم ما تريده هناك..

استأذنهم في ارتداء شيء وذهب معهم..

كانت الأفكار السيئة تتدفق في عقل عمار طوال الطريق، هل تم اكتشاف أمره؟ هل سيتهمونه بقتل زوجة أبيه؟ أم بقتل المهندس توفيق؟

أخذت هذه الأفكار تراوده إلى أن وصلوا للقسم..

انتظر فترة طويلة أمام أحد المكاتب.. حتى قام عسكري بإدخاله، وما أن رأى عمار من يجلس أمامه على ذلك المكتب حتى فهم كل شيء، إنه الضابط رائد زوج هند، فهو بالطبع لم ينسى ذلك اليوم الذي رآه يخرج فيه من مدخل عمارتها، ولم ينسى نظرة عمار له وقتها أيضًا..

بدأ الضابط رائد بالحديث قائلًا:

-اسمك وسنك وعملك..

أجابه عمار بثبات وثقة:

-عمار حمدي.. عشرين عامًا.. لا أعمل، فأنا ما زلت طالبًا..

قال له رائد:

-ومن أين توفر المال لمعيشتك؟

قال عمار:

-أحصل على معاش أبي..

نظر رائد إلى عمار وتفحصه جيدًا، ثم قال:

-لقد قمنا ببعض التحريات عنك.. ويوجد أمر شغلني كثيرًا، ولم أستطع تفسيره، فهل تفسره لي؟

قال عمار وهو يفكر:

-أمر ماذا؟

تابع رائد حديثه قائلًا:

-ألا ترى أن من الغريب موت زوجة أبيك بالسم ولم يكن معها أحد غيرك وقتها؟ وأيضًا موت المهندس توفيق بعد نشوب مشاجرة بينك وبينه بعد اتهامه لك بالتلصص على زوجته؟

في هذا الوقت كان عقل عمار في صدمة، فما كان يخاف حدوثه ها هو الآن يحدث..

لقد ارتفع صوت نبضات قلبه حتى كادت تُسمِع كل من في القسم..

-ما تفسيرك لذلك يا عمار؟

قالها الضابط رائد وهو ينظر لتغير معالم وجهه..

أراد أن يزيد الضغط عليه أكثر..

قال عمار وقد ظهر الارتباك عليه جليًا، لكنه أخذ نفسًا عميقًا محاولا السيطرة به على مشاعر الخوف بداخله واصطناع القوة:

-هي مجرد صدف لا أكثر، فلا أحد يتشاجر مع أحد وبعد ذلك يقتله.. وبالتأكيد أنك رأيت تقارير الطب الشرعي التي تقول أن الاثنين ماتوا بحوادث لا دخل لأحد بها..

اغتاظ رائد من إجابة عمار ونظرات عينيه الواثقة تلك.. بعدما كان يشعر بارتباكه عند طرح السؤال عليه..

فقام من جلسته واقترب من عمار ووجه له سؤالًا مفاجئًا:

-أنت كنت تحب هند، أليس كذلك؟

ارتبك عمار مرة أخرى، فاكتفى بالنظر إليه ولم يجبه، فأكمل رائد مهددًا:

-مهما كان بينكم في الماضي، أريدك أن تمحوه من ذاكرتك.. ولو علمت أنك تحدثت مع نفسك عنها سأقتلك..

ثم رجع إلى كرسيه مرة أخرى وجلس وهو ينظر لأحد الملفات على مكتبه ويقول:

-على كل حال أنا ما زلت أبحث خلفك لأثبت تورطك في قتل هؤلاء الناس من عدمه.. وأعدك أني سأكون في قمة السعادة عندما أصل لذلك..

ازداد غضب عمار من حديث الضابط، وقال وقد كاد أن ينفجر منه:

-ما كان بيني وبين هند حدث في الماضي، هي الآن متزوجة منك ولا تعني لي شيئًا..

-أما بخصوص بحثك عن أسباب موت هؤلاء الناس وسعيك لإلصاق هذه الحوداث لي.. فأنا بريء من ذلك..

ثم نظر عمار في عين رائد قائلًا في تحدٍ:

-لو كنت أفعل ذلك، لما كانت هذه المحادثة بيني وبينك قائمة الآن.. كنت ستكون إحدى هؤلاء الضحايا، فأنا ما كنت لأتركك تتزوج من حبيبتي دون انتقام..

قال رائد في غضب:

-ألم أقل لك لا تتحدث عنها؟

رد عمار قائلًا:

-أنا فقط أوضح لك وأبرئ نفسي من حوادث الموت التي تحدثك نفسك أني خلفها..

نظر كل منهما للآخر في صمت..

ثم قال عمار:

-هل لديك أسئلة أخرى حضرة الضابط؟

لوح له رائد بيده بعدم اهتمام مشيرًا له بالخروج..

اتجه عمار خارج المكتب وغادر القسم وهو لا يعرف كيف توصل رائد للبحث خلفه بهذا الشكل وكيف ربط الأحداث ببعضها هكذا..

كان صدر عمار ممتلئًا بالغضب بشدة..

فحدثته نفسه أنه ياليت شبيهه هنا كي يخلصه من ذلك الوغد، لكن عمار

قد استنكر ما حدثته به نفسه..

فإنه وإن كانت لديه القدرة على فعل ذلك، لن يفعلها الآن فقط من أجل هند، وألا تترمل بعد زواجها بشهور قليلة..

عاد إلى شقته وعادت تمضي عليه الأيام كما في السابق..

لا يفعل شيئًا سوى النوم والجلوس بعض الأوقات مع حسام وياسين حين يزوراه..

وفي إحدي الليالي قام عمار من نومه مفزوعًا وهو يقول لقد عاد ثانية.. لقد عاد! رأيته ونظرت في عينيه بعد أن قام بإطلاق النار علي..

وضع عمار يده على رأسه وهو يقول لا لم أكن أريد موته.. لم أكن أريد موته!

أخذ عمار يلهث بكلمات لا معنى لها..

استمرت صدمة عمار للصباح بعدما رأى شبيهه بعد عودته يقف أمام الضابط رائد موجهًا مسدسًا إلى جبهته مطلقًا عليه الرصاص..

*****

الفصل الثاني عشر

استشهاد وشك

في صباح اليوم التالي نشرت بعض الصحف خبر استشهاد أحد الضباط أثناء قيامه بالمداهمة على وكر لتجارة السلاح، وقد استشهد النقيب رائد حسني بعدما باغته أحد المجرمين بإطلاق عدة أعيرة نارية أصابت أحدها جبهته، وهو الضابط الوحيد الذى تمكن المجرمون منه دون باقي الأفراد الذين شاركوا في الاقتحام.

قرأ حسام هذا الخبر على عمار الذي أظهر أنه متفاجئ، لكن ما بدا عليه

من حزن كان حقيقيًا وغير مصطنع..

هو بالفعل يدعي عدم العلم بموت رائد..

لكنه لم يكن يريد ذلك، ويشعر بالحزن عليه وعلى نفسه..

يريد أن يتخلص من هذه اللعنة، لكنه لا يعرف من أين يبدأ وكيف يطرح موضوعًا كهذا للنقاش مع أي شخص..

الخوف يجعله يتردد آلاف المرات للنطق ولو بحرف واحد مما يحدث مع شبيهه في أحلامه..

بعد أيام قليلة كان عمار يجلس في غرفته كالعادة، وإذا به يسمع رنين هاتفه، التقطه في سرعة، لم يصدق عينيه عندما رأى اسم هند على الشاشة.. قام بالرد بلهفة:

-هند!

قالت بصرامة:

-أريد رؤيتك حالًا!

وأعتطه عنوان أحد الأماكن القديمة التي كانوا يرتادونها سويًا..

ثم أنهت المكالمة..

عمار لم يفهم شيئًا، لكنه قام بتغيير ملابسه وأسرع بالنزول..

عندما وصل وجدها تجلس على إحدى الطاولات فجلس أمامها وقال:

-البقاء لله.. لقد حزنت كثيرًا عند سماع ما حدث..

لم تجبه وأخذت تنظر إليه في صمت حتى قال لها:

-ما بك يا هند؟ لم تنظرين إلي هكذا؟

قالت بحدة:

-عمار.. أنت ليس لك دخل بما حدث لزوجي، أليس كذلك؟

تجمدت ملامح عمار ووقفت الكلمات في حلقه لا يعرف بماذا يجيبها..

لكنه أسرع بالرد نافيًا:

-وما دخلي بما حدث لزوجك؟ إنه استشهد في عمله على يد أحد المجرمين، وجميع الصحف نشرت ذلك..

تابعت قائلة:

-زوجي قد تحدث لي عن البحث الخاص بك، الذي عمل عليه قبل وفاته.. وعن مجيئك له المكتب وأنك قمت بتهديده!

قال عمار في انفعال:

-أي بحث هذا؟ أراد أن يحاسبني على حوادث أنهت حياة بعض الأشخاص.. لم يكن لديه أي دليل على ذلك، ولهذا تركني حينها.. ولم يحدث أن هددته.. أراد أن يلقي اللوم على طفل لم يتجاوز العاشرة في تسمم زوجة أبيه.. أهذا أمر منطقي في رأيك؟!

صمت عمار قليلًا، ثم تابع قائلًا:

-وإن كنت بالفعل مثل ما تتهميني، ألم تطلبي مني أن أنقذك من زواجك منه يومًا؟ لو كنت أستطيع القتل كنت فعلتها حينذاك، لم أكن لأنتظر إلى الآن..

رمقته بنظرة تدل على عدم اقتناعها بحديثه، ثم قالت:

-وبماذا تفسر موت جارنا المهندس توفيق بعد شجاره معك؟ ورائد نفسه حين انزلق على السلم يوم أرادوا المجيء لخِطبتي؟ وعن الثقة التي تحدثت بها في ذلك اليوم، أنهم لن يأتون ولن تكون هناك خِطبة..

حاول عمار تهدئتها وإقناعها أن كل ذلك لا يتعدى كونه صدفة..

بدا على وجهها الغضب والحنق مما قال، وهمت واقفة لتغادر..

لاحظ عمار تغير حجم بطن هند عند وقوفها، صعق من فكرة حملها، فكاد أن يبكي لتسببه في تيتم ذلك الجنين وهو ما زال في بطن أمه..

رحلت هند وهي تنظر له بحزن واستياء دون أن تنطق بكلمة..

رحلت وبداخلها صراعات بين عقلها المرتبط برائد الذي كونت حياة وأسرة معه، وقلبها الذي أحب عمار بصدق ويدّعي معرفته جيدًا..

فبين عقل يتهم وقلب يبرئ تائهة هي لا تعرف ما عليها فعله وإلى أي جانب ترتكن..

أما عمار فقد عاد إلى شقته وما زال يفكر في حمل هند، وأنه تسبب في كل هذا الحزن الذي رآه في عينيها، وكم بدت خائفة وحيدة، امراة لم تستطع استكمال فرحتها بوضع جنينها الأول بجانب زوجها..

أخذ يحدث نفسه بصوت عال بعض الشيء قائلًا:

-«لم أكن أريد ذلك يا هند، صدقيني كل ذلك يحدث عكس إرادتي، لم أكن لأحب أن أكون سببًا في تعاستك أبدًا»

وأخذ يبكي حتى غط في النوم..

استيقظ في ساعة متأخرة من الليل ليسمع صوت حركة خارج غرفته..

نهض واقفًا ممسكًا بأحد المزهريات تحسبًا لوجود لص معه في الشقة، لكنه بحث في كل ركن ولم يجد أحدًا فهدأ وعاد أدراجه للغرفة، الذي ما إن فتح بابها حتى توقف قلبه من ضخ الدماء في عروقه فتصلب في مكانه وهو يرى كلًا من زوجة أبيه والمهندس توفيق ورائد جالسين على فراشه وينظرون له نظرات مفزعة..

بدوا كمن خرجوا من قبورهم للتو..

شعورهم مجعدة تغطي الأتربة وجوههم..

أراد عمار التحرك لكن قدماه أبتا ذلك..

كان لزامًا عليه رؤية كل منهم وهم يقتربون إليه..

فزوجة أبيه ذات العيون السوداء القاتمة تقترب إليه وهي تُخرج بقايا طعام سوداء من فمها المفتوح من الأذن للأذن، وجسدها الذي يتلوى وتنكسر عظامه كمن يتلوى من تأثير سم بداخله..

وتوفيق الذي يقترب عليه وهو ينزف من رقبته وجسده ينحني انحناءات صعبة كثعبان يُلهي فريسته قبل الانقضاض عليها..

أما رائد فلا يعرف عمار لماذا كان يقف ثابتًا لا يفعل شيئًا سوى النظر إليه بوجه ملطخ بالدماء..

اقترب الثلاثة منه وهو يحاول الهروب لكن دون جدوى، وعندما دنوا منه وكادوا يمسكون به..

صرخ عمار في وجوههم من الفزع وانتفض ليجد نفسه جالسًا على فراشه يتصبب عرقًا يتلفت حوله في خوف..

غير مستوعب مدى واقعية الكابوس الذي رآه منذ قليل..

شرب الكثير من الماء ليبلل ريقه الذي شعر وكأنه تشقق من الجفاف، ثم أخذ بعض الوقت ليحاول معاودة النوم مرة أخرى، لكنه لم يستطع ذلك..

مرت الإجازة وحان وقت الرجوع للجامعة، لكن عمار فضل الجلوس في شقته وعدم الذهاب رغم محاولات حسام وياسين المتكررة..

كان حسام يستنكر على عمار حبس نفسه في البيت وعدم حلاقة لحيته التي أصبحت كثيفة وغير متناسقة..

مرت بضعة أيام أخرى حتى استطاع كل من حسام وياسين إخراجه مما هو فيه..

جلس في المدرجات لا يعي شيئًا سوى أحاديث كثيرة وصراعات بينه

وبين نفسه لا يشعر بها أحد سواه..

حتى جاءه صوت دكتور نصار فقطع كل ذلك.. حين طلب منه الإجابة على أحد الأسئلة، فقام عمار بالوقوف وأجاب، لكن إجابته لم تعجب دكتور نصار الذي طلب منه أن يجيب من الكتاب الخاص به، ولكن عمار لم يقم بشرائه واكتفى بالمذاكرة من كتب أخرى متوفرة في هذه المادة فناقش دكتور نصار في الإجابة التي لم يعترف بها فقط لأنها ليست بالصيغة التي في كتابه..

وعندما اشتد الجدال قام دكتور نصار بطرد عمار من المدرج وتوبيخه أمام حشود الطلبة، وتوعده بالرسوب في هذه المادة..

كان ياسين يشاهد دون تعليق، فهو يعرف جيدًا أن بمجرد نطقه حرفًا واحدًا دفاعًا عن عمار تعني رسوبه هو الآخر، ففضل الصمت كما فعل الجميع..

اشتعل صدر عمار غضبًا وهو يخطو ببطء إلى خارج المدرج، فالأمور لم تكن تنقص إذلاله من هذا الدكتور المتجبر..

لم يكن حسام حاضرًا تلك المحاضرة، فهو يعلم أن دكتور نصار سيعلق على عدم شرائه لكتابه بعد..

غادر عمار ولم يكمل اليوم..

عاد إلى شقته التي لم يعد يريد الخروج منها..

أعد كوبًا من الشاي واتجه إلى شرفته التي لم يقترب منها منذ وقت طويل، كانت الشمس على وشك الغروب عندما اتجهت عيناه لا إراديًا إلى شرفة هند التي كانت واقفة بالصدفة في هذا التوقيت وقد اصطدمت عين كل منهما بالآخر..

بعد مرور كل ذلك الوقت، لم يتوقع عمار أن يجد هند في الشرفة تنظر إلى شرفته المغلقة بعد آخر لقاء كان بينهما..

لكن هند لم تطل المكوث أمامه فانسحبت بهدوء وأغلقت الشرفة في وجهه..

أغلقت وهي تفكر في زوجها تارة وفي حملها تارة وفي قلبها الذي ما زال يوجد به بعض الحب لعمار تارة..

ولكن هي لا تستطيع نسيان ما قاله زميل زوجها الذي كان يرافقه في ذلك اليوم، حين قال لها أنه لا أحد رأى الشخص الذي أطلق الرصاص على رائد، لقد كان جميع أفراد العصابة قد قُتِلوا في ذلك الوقت..

لكن..

مَن أطلق الرصاص؟

ولماذا أطلقه على رائد بالتحديد؟

يبقى هذا اللغز الذي حير الجميع حتى أقنعنا أنفسنا أنه لربما أحد من أفراد العصابة أطلقها قبل أن يموت مباشرة وهذا ما أرحنا به أنفسنا جميعًا لأن الجميع تأكد من تفتيش المكان بالداخل، هذا غير الحصار المحكم الذي كان بالخارج..

فكان ذلك أقرب الأمور منطقية.

ذلك الحديث الذي جعل عقلها يطرح الأسئلة ويبدي شكه في عمار ويطلب منها مواجهته بتلك الشكوك لتذهب لمقابلته ذلك اليوم..

ولكنها رجعت من هذه المقابلة وتبدو مقتنعة نوعًا ما بحديث عمار، وأخذت تُحدث نفسها قائلة لو كان يريد قتل رائد كان قد قتله حين طلبت منه أن ينقذني من زفافي عليه ذلك اليوم..

وإذا كان ينوي قتله أيضًا لما انتظر كل هذه الشهور كي ينتقم منه..

ثم أحست بحركة الجنين في بطنها.. فوضعت يدها على بطنها وهي تقول أنا هنا يا حبيبي اهدأ، والدتك بجانبك يا رائد..

الفصل الثالث عشر

انتحار

فقد عصام القدرة على الثبات، شعر باهتزاز الأرض تحت قدميه التي لم تعد تقوى على الوقوف، لا يعرف إذا ما كان الاهتزاز من داخل الأرض أم من داخله هو، كان ذلك عندما تسلم نتيجة التحاليل التي تقول أنه ليس به شيء، لا يوجد شيء يمنعه من الإنجاب الآن ولا في السابق..

قد أوشك أن يصاب بالجنون..

تدور في رأسه الكثير من الأسئلة..

أن كيف استطاع الشيطان بداخله أن يفعل به كل ذلك؟

كيف أنه انقاد خلف تلك الوساوس والأوهام التي اختلقها ليدمر حياته بيده؟

كيف أنه قتل المعلم عثمان تاجر المخدرات بعدما فر منه بالشحنة الجديدة؟

وكيف قتل المتهم صابر مستغل الأطفال بعدما توصل لأوراق تدينه وتسجنه بالقانون؟

وفوق كل ذلك عاد إليه صوت علياء ابنته مرة أخرى يتردد في رأسه وهي تقول..

-«المكان مظلم وبارد هنا يا أبي لم فعلت بنا ذلك؟! لقد تشوه وجهي بالكامل..»

أخذت تلك الكلمات تتكرر في رأسه..

حتى وضع يده على أذنيه بشدة لكي يوقف تلك الأصوات بداخله..

تشوشت رؤيته، تملك الدوار من رأسه، تسرب الظلام إلى عينيه شيئًا

فشيئًا في وضح النهار إلى أن فقد الوعي..

استفاق في وقت متأخر من الليل ليجد نفسه ممدد على فراش موصول في ذراعه أنبوب من الجلوكوز في إحدى المستشفيات..

نزع الأنبوب من ذراعه ونهض من رقدته مسرعًا ليعود إلى شقته القديمة..

لا يفكر إلا في شيء واحد..

مواجهة مَن فعل به كل ذلك..

دخل الشقة وأغلق كل الإضاءة، وقال بصوت غاضب..

-«هيا.. أظهر لي نفسك.. عرفني من تكون.. كفاك تلاعبًا بعقلي.. هيا.. قل لي لماذا فعلت بي كل ذلك؟»

انتظر قليلًا في سكون هذا الظلام.. حتى جاءه الرد بصوت واضح من داخله يقول..

-«أنا أساعدك في عملك وأزيل كل من يؤذونك من طريقك، بل أمحوهم من حياتك..»

شعر عصام بالخوف لكنه قال..

-«ومن طلب منك مساعدتي؟ أنت دمرت حياتي.. أين المساعدة في ذلك؟»

سمع إجابة مُحدثه يقول..

-«لكني لا أفعل ذلك بمفردي، أنت تساعدني.. أنا أقوم فقط بما عليك أنت القيام به..»

قال عصام في تلعثم..

-«أظهر نفسك لي..»

قال مُحدثه..

-«نحن متشابهان لا فرق بيننا.. لكن إذا أردت رؤيتي عليك أن تقوم بإشعال زوج من الشموع في مكانك هذا لتراني..»

فعل عصام ذلك وهو يرتجف..

انتظر قليلًا ولم ير شيئًا..

قال بصوت غاضب..

-«قد فعلت كما قلت.. أظهر نفسك الآن..»

كان عصام ينظر إلى خياله الضخم على الحائط، ولكنه مات رعبًا حين رأى أن خياله يتحرك دونه هو..

ثم جاءه الصوت قائلًا..

-«أنا الآن أمامك.. أنا نسخة منك.. لكني المخلوق الأرقى في جنسي والأقوى والأشرس.. المكر والعناد والخبث صفاتي.. مخالفتك في كل شيء وظيفتي..»

رأى عصام خياله يتحرك ذهابًا وإيابًا دون أن يتحرك، وكأنه يقف أمام شخص آخر..

غير مستوعب ما يحدث، شعر كأنه داخل حلم لا يريد انتهاءه حتى يحصل على إجابات لكل أسئلته..

ثم سمع ذلك الصوت يقول..

-«الوسوسة لك واستدراجك للشرك والفسوق والفساد وارتكاب المعاصي والبعد عن كل ما هو صالح سبب خلقتي.. أكون معك منذ ولادتك إلى مماتك، اختبار لك ولقوة إيمانك وعزيمتك.. فإذا كنت مؤمنًا بحق فليس لي عليك سلطان، وإن كنت ضعيف الإرادة والإيمان أغويتك وتلاعبت بك كيف أشاء مثلما فعلت بك الآن.. أنا قرينك من الجن.. ألا تتذكر تلك الليلة

أنك تمنيت قتل تاجر المخدرات الذي هرب منك عشرات المرات!! ألم تُحدث نفسك يومها أنك تريد قتله بأي طريقة.. وزوجتك المسكينة نجاة التي لطالما أحبتك بصدق وأخلصت لك وتحملت عناء عملك.. شكرتها بأنك شككت في سلوكها واتهمتها في عرضها.. أنت من رأيتها كذلك قبلي.. وما ذنب علياء الطفلة الجميلة التي حرمتها من الحياة بتهورك وأنانيتك.. وصديقك المخلص طارق الذي كان يعتبرك في منزلة أخيه ولكنك ظننت به ظن السوء.. كل هؤلاء ضحاياك وأكثر.. إذا كنت أنا أرقى بني جنسي فأنت حقًا أحقر بني جنسك..»

انفجر عصام غضبًا وهو يزيح الشموع من أمامه قائلًا..

-«أنت تكذب.. أنت مجرد هُراء.. شيء ليس له وجود..»

كانت دموعه تنهمر من عينيه حين فتح باب الشقة وغادر..

انطلق عصام على وجهه في الشوارع لا يعرف له وجهة، متخبط، مستسلم، منتهٍ، تخلى عنه عقله وقوته بعد بضعة ساعات من السير في الشوارع قرر العودة إلى شقته حتى ساقته قدماه إلى شارع مجاور لبيته فوجد نفسه أمام مسجد..

وقف قليلًا وكأنه يتذكر آخر مرة دخل فيها إلى مسجد.. كان ذلك منذ سنوات!

خلع حذاءه ودخل، أخذ ينظر في أركانه حتى رأى شيخًا ليس بكبير في السن ذي لحية سوداء مهذبة يقرأ في كتاب الله في انتظار أذان الفجر بصوت عذب تلك الآيات..

-بسم الله الرحمن الرحيم..

-(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد، وقال قرينه هذا ما لدي عتيد، ألقيا في جهنم كل كفار عنيد، مناع للخير معتد مريب، الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد، قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد، قال لا تختصموا لدي وقد

قدمت إليكم بالوعيد، ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد)

ثم لاحظ الشيخ وجود من يجلس بجانبه منصتًا لقراءته، فتوقف ونظر إليه وقال مبتسمًا:

-أهلًا بك يا أخي.. ماذا أهمك هكذا؟

نطق عصام بصعوبة وقال:

-ما القرين؟ وما مدى قوته على الإنسان يا شيخ؟

وضع الشيخ يده على كتف عصام وقال:

-حسنًا، لكن أود أن أعرف اسمك في البداية..

-اسمي عصام..

ابتسم الشيخ وقال:

-وأنا أخوك سلامة..

بعد ذلك قام الشيخ سلامة بإعادة الآيات التي كان يتلوها على عصام مرة أخرى، ثم قال:

-خلق الله تعالى القرين لتتحقق العدالة فى اتباع الإنسان الحق أو اتباع الباطل لضمان اختيار الإنسان ما بين الحق والباطل بإرادته، فالقرين هو الوسواس الخناس للإنسان، فعندما يريد العبد أن يعبد ربه ويصلي جميع الفروض هناك بعض الأسئلة المحبطة التى تدور فى رأسه منها..

-ماذا سوف تستفيد؟

-هل ستدخل إلى الجنة إذا قمت بالصلاة؟

نطق عصام وقال:

-نعم، لقد كانت تحدثني نفسي بذلك أثناء صلاتي..

وطأطأ رأسه قائلًا:

-عندما كنت أصلي..

تابع الشيخ وقال:

-هنا يا أخي تكمن وظيفة القرين الأساسية وهي اختبار العبد إذا كان صحيحًا فى اختيار طاعة الله أم لا، فلو تكاسلت عن الطاعة والعبادة فقد أطعت الشيطان وابتعدت عن الدين، وإن عصيت شيطانك واستعذت منه وذهبت لطاعة الله فأصبحت وليس لشيطانك سلطان عليك..

-القرين يجعل بداخل الإنسان التردد والتشكك والتساؤل، وفي بعض الأحيان يجعل الإنسان مثل الذي له شخصيتان..

عصام يستمع باهتمام وكأن الشيخ يتحدث عنه.. حتى انتهى ثم قام بسؤاله:

-هل من الممكن أن يتسبب القرين في قتل أحد؟ وكيف يمكن التخلص منه؟

-بالنسبة للسؤال الأول لم أسمع بشيء كهذا من قبل.. أما إجابة السؤال الثاني.. فللأسف يا أخي القرين لا يمكن حرقه ولا يموت لأنه مقرون بوجود الإنسان، فليس بمقدور أي أحد مهما كانت قدرته في حرق الجن التخلص من القرين وحرقه، فهو يلازمك لمماتك..

اقترب عصام من الشيخ هامسًا في أذنه قبل أن يهم بالوقوف:

-إنه تسبب في قتل عائلتي والكثير من الناس يا شيخ!!

نظر له الشيخ في دهشة وقال:

-كيف ذلك؟ إنه.....!!

انسحب عصام من أمامه قبل أن يُكمل حديثه وخرج من المسجد يائسًا.. لم يستمع لنداءات الشيخ بالانتظار.. أخذت نفسه تُحدثه أنه لا مفر له من

قرينه إلا بالموت.. ظل الصوت الأعلى بداخله، أن الموت هو الحل، وسبيله للانتقام من ذلك القرين..

لكن عصام لم يكن يعلم أن من يحدثه ويبث تلك الأفكار في عقله ليس إلا قرينه، فهدفه الأسمى أن يقتل عصام نفسه ويقنط من رحمة الله، كان صوته أعلى وأقوى على نفس عصام..

لم يسمع الأصوات الأخرى بداخله التي تقول له، أن المفر هو الالتجاء لله تعالى وعبادته حق العبادة وأنه إذا كان القرين قويًا جدًا فهذا يكون على المسلم الضعيف وليس على المسلم القوي الممتلئ قلبه بالإيمان والعزيمة..

لم يكن عصام يستمع لكل هذا..

قد امتلأ عقله أنه لا مفر له سوى الانتحار..

أكمل طريقه مطأطئًا رأسه إلى الأرض حتى وصل إلى شقته في الدور الثاني، نظر إلى رقم ثلاثة على الباب وكأنه يريد أن يرى تفاصيل شقته قبل أن يغادر هذه الحياة القاسية..

دخل إلى الشقة، تحرك في هدوء واستسلام، كأنما يوجد من يتحكم به، أتى بكرسي خشبي ووضعه في منتصف إحدى الغرف، كان بيده حبل غليظ قد ذم عروته جيدًا، أدخل طرف الحبل في قطعة حديد مثبتة في سقف الغرفة..

ثم قام بإدخال رأسه في عروة الحبل المربوط جيدًا بسقف الغرفة وهو يبكي..

كانت جميع الأفكار التي تدوي برأسه تؤكد له أنه يفعل الصواب، وأنه بذلك سيتخلص من ذلك القرين المخادع..

استسلمت كل جوارحه عدا عينيه التي لم تتوقف عن سحيح الدموع..

توقف عن البكاء عندما رأى أمامه علياء ونجاة واقفتين تنظران إليه في صمت بوجوههما المحترقة، ومن خلفهم كل من طارق وعثمان وصابر..

متراصين لمشاهدة اللحظات الأخيرة لمن تسبب في مقتلهم لتهدأ أرواحهم..

لم يستطع عصام تحمل النظر إليهم أكثر من ذلك، ليدفع الكرسي بأقدامه ليتدلى جسده في الهواء وهو ينازع الموت اختناقًا، أخذ جسده في الاهتزاز والانتفاض بقوة، قبل أن يرجع للثبات والسكون..

*****

الفصل الرابع عشر

ضحية جديدة

في مساء ذلك اليوم لم يكن عمار يريد النوم، كان خائفًا من شبيهه أن يفعل شيئًا ما للدكتور نصار الذي حدثت مشادة بينهم في الصباح، غضب عمار منه بعدما توعده بالرسوب في مادته وإعادة السنة عليها.. لكنه استسلم في النهاية للنوم وهو جالس على أريكة غرفة المعيشة..

غفلة قصيرة كانت كافية لإيقاظه ينهج، تواترت أنفاسه بشدة من الإعياء، أخذ يتذكر ما حدث داخل كابوسه الجديد، لقد رأى شبيهه الأسود يقف أمام دكتور نصار، يحمل في يده سيخًا حديديًا أشبه بالرمح وقد ضربه ضربة واحدة فاخترق السيخ صدره..

وبينما كان يقف يشاهد من بعيد، حتى نظر له ذلك الشبيه واقترب منه، وأخذ يقترب، وفي كل مرة تتضح صورته أكثر فأكثر لعمار حتى شعر وكأنه يقف أمام مرآة عاكسة، تحدث لعمار قائلًا..

-«لا مفر مني.. أنا داخلك.. أنا حريتك.. أنا من تريد أن تكون..»

ثم قام عمار مفزوعًا بعدها..

صاح غاضبًا:

-«ألن تتوقف عن ذلك؟ لم أعد أحتمل قتل المزيد من الناس..

-لم أعد أحتمل!»

قد ضاق الحال كثيرًا بعمار، لكنه في غفلة تلك الحياة لا يدري إلى أين يتجه ولمن..

لم ينم عمار بعد ذلك، ظل مستيقظًا حتى سمع صوت آذان الفجر في المسجد المجاور له، لكنه ككثير من الناس، لا تعني لهم نداءات المساجد إلا استخدامها كتوقيتات في أحاديثهم فيقول أحدهم للآخر لقد نمت أمس عند أذان الفجر.. ويقول الآخر سنتقابل عند آذان الظهر..

وكأنهم لا يعرفون للأذان وظائف أخرى غير تلك..

تجهز عمار ونزل مع أول ضوء للصباح، كان يريد التمشية في الشوارع قبل أن تزدحم لاستنشاق بعض الهواء النظيف قبل أن يدخل إلى الجامعة في الثامنة صباحًا يقف مترقبًا وصول شخص ما، لا لم يكن حسام بل كان دكتور نصار..

وبينما كان ينظر على مزاح بعض الطلبة أمامه توقف الجميع عن الحركة، عند سماع صوت فرملة سيارات وأصوات آلات التنبيه تتعالى فأسرع عمار يركض هو وبعض الشباب ودخل وسط الزحام.. ليرى ماذا حدث ليصطدم بأحد الطلبة، فسأله:

-ماذا حدث؟

أجابه الشاب قائلًا:

-سيارة نقل محملة بأسياخ من الحديد الضخمة مرت بسرعة كبيرة من فوق المطب الاصطناعي حتى أفاق السائق عندما شعر بالمطب واستخدم الفرامل دفعة واحدة، فاهتزت السيارة بشدة مما أفلت بعض الأسياخ من أمكانها لتسقط على السيارة الصغيرة التي كانت خلفها وقريبة جدًا منها، ليخترق أحد تلك الأسياخ زجاج السيارة ويصيب جسد صاحبها..

ركض عمار مع الجميع ليشاهد السيارة وكانت الصدمة حين وجد أنها

سيارة دكتور نصار..

ما أن رأى عمار ذلك حتى جن جنونه، أخذ يشق طريقة بين الطلاب ليصل إلى السيارة ليتأكد ممَن يستقلها، كانت صدمته شديدة عندما تأكد أنه دكتور نصار نفسه ورأى السيخ الحديدي وقد اخترق صدره مثلما رأه في حلمه من قبل، كان يوجد شاب آخر بجانبه لم يره بوضوح لكنه يبدو قتيلًا هو الآخر اهتز داخل عمار هزة شديدة شعر على إثرها بأن قدماه لن تحمله أكثر من ذلك، كاد يخر أرضًا لولا يد حسام التي منعت سقوطه..

هذه المرة الأولى التي يرى فيها عمار نتيجة أحلامه، فقبل ذلك كان يسمع بما حدث مثل البقية، لكنه الآن يرى، يرى بعينيه أحد ضحايا شبيهه..

أدخله حسام إلى الجامعة مرة أخرى وساعده اثنان من زملائه حتى استعاد اتزانه مرة أخرى..

كان مستغربًا من توجيه الجميع له كلمات التعازي والمواساة لا يعرف لم يعزيه الجميع في وفاة دكتور نصار، حتى حسام، لكنه لم يعلق على ذلك..

وما أن وجد أنه يستطيع الوقوف على قدميه حتى قرر أن يغادر الجامعة، همَ حسام باصطحابه لكنه طلب منه أن يتركه بمفرده فهو يحتاج ذلك..

لم يلح حسام عليه كثيرًا فهو يعرف أن عمار يحب الخصوصية والاختلاء بنفسه في أغلب الأوقات..

أخذ عمار يهيم في الشوارع والطرقات لا يحدد لنفسه وجهة معينة بل كانت قدماه تسير في الشوارع وتفكيره وكل إدراكه ما زال يقف أمام سيارة دكتور نصار وهو يرى السيخ الحديدي في وسط صدره..

غير عابئ بالازدحام والضوضاء من حوله..

الأصوات داخله أكثر ضوضاءً..

شعر بالثورة على داخله، يريد أن يفعل أي شيء وما بوسعه ليوقف هذا القاتل..

وجد نفسه على كورنيش النيل، نظر من فوق الجسر على المياه الداكنة المخيفة، حدثته نفسه بصوت مسموع قائلة..

-«الخلاص أمام عينيك.. أوقف الشر بداخلك.. لن يستطيع فعل شيء بدونك»

لمعت عين عمار لما ظن أن نفسه تحدثه به، وكاد أن يهم بإلقاء نفسه، لكن شيئًا ما أوقفه.. لا يعلم لم تذكر هند وجنينها الذي سيأتي لهذه الدنيا بعد أشهر قليلة، فتراجع عما فكر فيه..

أكمل طريقه وأخذ يمشي بلا وجهة، بلا هدف، بلا غاية..

يريد أن تلقيه الأقدار إلى حيث تشاء.. هو استسلم ولن يعافر معها مرة أخرى..

يفكر كيف سيوقف الشر والخداع بداخله.. وبينما هو كذلك إذ ينتبه لصوت فرملة إحدى السيارات ليجد نفسه في منتصف الطريق وكادت تلك السيارة أن تدهسه..

أخذ صاحبها يكيل له من السباب ما يشتهيه، ولكن عمار لم ينظر له ولم يغضب منه بل تركه يقول فيه ما يشاء..

كان يخاف أن مجرد النظر إليه قد يؤدي إلى حلم جديد وجريمة قتل جديدة فرحل في هدوء..

سمع صوتًا داخله مرة أخرى يقول..

-«لم تفعل كل هذا بنفسك؟ جميعهم استحقوا تلك النهايات.»

أنصت عمار ليركز في حديث نفسه، لكنها ليست من تحدثه، هو الآن أصبح يفرق بينهم..

هذا شبيهه هو من يحدثه وليست نفسه.. إنها أمارة بالسوء لكنها لا تقتل..

تحدث عمار متمتمًا..

-«اصمت أيها المخادع!»

جاءه الصوت من داخله يقول..

-«أنا صديقك الذي يحميك دائمًا، أنسيت ما فعلته في زوجة أبيك حين كنت طفلًا مقهورًا عاجزًا؟»

وأخذ يحصي له مَن قتلهم من أجله..

رد عمار في غيظ..

-«أنا لم أطلب منك فعل ذلك أيها الوغد!»

وظلا في هذا الجدال حتى وجد عمار نفسه وقد اقترب من منطقة سكنه..

*****

الفصل الخامس عشر

قرار خطير

انتبه عمار ووجد أن قدميه قد ساقتاه إلى منطقة بالقرب من الشارع الذي يسكن فيه.. كانت الشمس تخفي شعاعها الأخير في ذلك الوقت وسيُرفع الأذان لصلاة المغرب خلال ثوان..

مر عمار من أمام المسجد كعادته ليصعد إلى شقته.. لكنه لا يعرف ما جعله يرجع ويدخل إلى المسجد.. توضأ وصلى ثم جلس وكأن ما بداخله من أصوات قد سكنت، من التحدث الدائم والإزعاج التي تسببه له..

شعر عمار بارتياح لم يكن يشعر به..

تذكر انقطاعه عن الصلاة والعبادات فطالت جلسته وأخذ يبكي..

وجد من يجلس أمامه ويقول:

-كيف حالك يا عمار؟

نظر عمار للمتحدث فوجد أنه الشيخ حازم إمام وخطيب المسجد وجاره أيضًا، أجابه قائلًا:

-شيخ حازم، كيف حالك؟ متى رجعت من السفر؟

كان عمار يعلم منذ مدة كبيرة عن سفر الشيخ للعمل في إحدى الدول العربية..

فأجابه الشيخ:

-لقد أتيت منذ مدة، لكننا لم نتقابل منذ عودتي..

ثم بادره سائلًا:

-ما بك يا عمار؟ لقد رأيتك تبكي منذ قليل!

ارتبك عمار قليلًا من سؤاله وأجاب:

-لا شيء سوى أنني شعرت بالتقصير..

تردد عمار في التحدث عن أمره مع الشيخ حازم بطريقة صريحة، فقال له:

-أريد سؤالك عن شيء يا شيخ..

قال له:

-تفضل..

قال عمار:

-أنا أحلم بأشياء غريبة بعضها يتحقق..

قال له الشيخ:

-مثل ماذا؟ فعلم الأحلام هذا علم واسع..

تابع عمار قائلًا:

-عندما أغضب من أحد في نفس الليلة أرى شبيهًا لي تمامًا لكنه أسود البشرة يقوم بأذية ذلك الشخص في الحلم.. بعدها أرى أن من أغضبني يرقد مريضًا..

لم يقدر عمار على البوح أنه تسبب في قتل أحد حتى لو بغير إرادته، ثم تابع:

-أريد أن أعرف كيف يحدث ذلك وكيف لي أن أرى نسخة مني تؤذي من حولي..

قال له الشيخ:

-هذا الشبيه الذي تراه هو قرينك يا عمار..

رد عمار قائلًا:

-قريني!

أجابه الشيخ:

-نعم

وتابع..

-القرين يغضب لغضب صاحبه، وكل منا له قرين من الجن وقرين من الملائكة، وذلك تصديقًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.. عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا

بخير.

وفي رواية: «... وقد وكّل به قرينه من الجنّ وقرينه من الملائكة». رواه مسلم.

والقرين هو شيطان يقترن بابن آدم، ويسعى جاهذا ليضله عن سواء السبيل..

قال له عمار:

-ألا توجد طريقة نسيطر بها عليه ونتقي بها وسوسته وغوايته؟

أجابه الشيخ:

-للأسف، لا يمكن للمسلم أن يسيطر على قرينه ويدخله في الإسلام لو كان غير ذلك،

-لأن الله سبحانه جعل ذلك ابتلاءً للعبد، ليعلم المؤمن من غيره..

قال عمار في نفسه وهو يشعر بالأسى..

-«يبدو أني رسبت في ذلك الاختبار..»

لكنه أعاد نفس الجملة على الشيخ حازم.. الذي أجابه قائلًا:

-بالطبع لا، فما عليك إلا أن تقاومه.

وتابع..

-لقد أخذنا الحديث ولم نشعر أن توقيت صلاة العشاء قد حان، وبعد الصلاة، سيحضر شيخي الكبير كنت قد سمعت منه حكاية عن رجل جاء له منذ سنوات لسؤاله عن القرين أيضًا..

-سأقوم برفع الأذان الآن.. وبعد الصلاة سنطلب من الشيخ سلامة قص الحكاية كاملة علينا لعلها تفيدك..

بعد انتهاء الصلاة اقترب الاثنان من الشيخ سلامة الطاعن في السن

وسلّم عليه كل منهما، ثم بدأ الشيخ حازم بسؤال الشيخ سلامة قائلًا:

-إذا سمحت يا شيخ سلامة، هذا جاري وأخي عمار يقول أنه يرى أحلامًا غريبة وأنه إذا غضب من أحد يرى أثناء منامه شبيهًا له لكنه أسود البشرة يؤذي هذا الذي يغضب منه، يريد أن يوقف كل هذا وقد سمعت حديثًا منك قبل مدة تذكر فيه رجلًا أتاك يشكو من نفس الشيء.. فبماذا تنصحه؟

نظر الشيخ سلامة لعمار قائلًا:

-كيف لم تسمع عن القرين سابقًا؟ والله أني لأحزن على أحوال الشباب الذين لا يعرفون عن دينهم إلا القليل، ولكنهم موسوعات لأشياء أخرى ألهتهم بها الحياة..

شعر عمار بالحرج ولم يعلق على ما قاله الشيخ الذي تابع قائلًا..

-أسأل الله أن ينجي شباب المسلمين من الفتن ويفقههم في دينهم..

ثم نظر إلى عمار وقال في جدية:

-هذا الشبيه أضعف منك يا بني لكنك ضعيف أمامه لبعدك عن ربك..

ثم تلى قول الله تعالى..

-«إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» وقال أيضاً: (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ).

عمار كان يعلم أن حديث الشيخ سلامة صحيح وأنه بالفعل لا يصلي ولا يلتزم بالعبادات ولا الأذكار، إنه بعيد كل البعد عن طريق الله.. قد ألهته الدنيا عما خُلق لأجله..

ثم تابع الشيخ سلامة قائلًا:

-شباب كثيرون يظنون أن نية قلوبهم المحبة لله ولرسوله والإسلام تُغنيهم عن الطاعات، وذلك غير صحيح.. حب الله ورسوله يكون بالالتزام بما فرضه الله علينا وتنفيذ سنن نبيه الكريم.. احفظ الله يحفظك..

تدخل الشيخ حازم سائلًا الشيخ سلامة:

-نريدك أن تقُص علينا قصة هذا الرجل الذي جاءك سائلًا عن القرين..

قال الشيخ:

-أنا أتذكر جيدًا ذلك الرجل، كنت ما زلت شابًا حين دخل عليّ المسجد سائلًا عن القرين وقوته وهل يستطيع أذية أحد من البشر كان أيضًا من هنا.. أجبته على قدر علمي وقتها..

-لكنه ألقى عليّ جملته الأخيرة وغادر، وتركني مصدومًا حين قال لي أن القرين استطاع قتل أناس كثيرة يعرفهم وإنه لا يستطيع التعايش مع ذلك.. حاولت وقتها التوضيح له أن القرين عدو للإنسان وأنه مخادع ومضلل.. لا يريد لصاحبه الخير..

وصمت الشيخ صمتًا له معنى..

فقال له عمار:

-وماذا حدث لهذا الرجل يا شيخ؟

كانت صدمة عمار كبيرة حين سمع إجابة الشيخ على سؤاله..

-لقد سمعت عنه بعد أيام أنه لم يحتمل العيش مع كل ذلك وقام بالانتحار..

أخذ ثلاثتهم يتحدثون كثيرًا عن الأمر وعن كيفية إيقافه.. لكن ما أحزن عمار هو علمه أنه لا يمكن الانفصال عن قرينه إلا بالموت..

غادر ورجع إلى بيته وهو يفكر في أمر قرينه حتى جاءه الصوت..

-«أتبحث عن طريقة لإخراجي منك؟ أتريد الابتعاد عني بعد كل ما فعلته لأجلك؟»

دخل عمار إلى فراشه وصوت قرينه يتردد في نفسه..

لكنه أخذ يردد بعض الأذكار التى أوصاه بها الشيخ سلامة.. اختفى بعدها ذلك الصوت تمامًا..

في ظهيرة اليوم الثاني ذهب عمار إلى المسجد المتواجد فيه الشيخ سلامة..

فاقترب منه حين وجده جالسًا بجانب المنبر..

-السلام عليكم يا شيخ.. أنا عمار..

نظر له الشيخ وقال:

-وعليكم السلام ورحمة الله، أهلًا يا بني..

جلس عمار وقال للشيخ:

-لقد أتيت لسؤالك عن شيء أخير..

قال له الشيخ:

-تفضل يا بني..

قال عمار:

-بالنسبة للقرين يا شيخ كيف يرى من يغضبنا ومن نتحدث معهم؟

أجابه الشيخ:

-القرين بداخلك يأكل مما تأكل منه إن لم تسمي الله، ويشاركك فيما هو أكثر من ذلك وأخطر.. وإنه يرى من خلالك، يرى بعينيك!!

شرد عمار قليلًا.. ثم شكر للشيخ براح صدره وغادر..

أخذ يفكر في أمر عجيب لم يخطر على عقل بشر من قبل، فكر في التنازل عن بصره بإرادته لكي يقطع على قرينه رؤية أحد من خلاله وقتله لأي سبب كان..

لم يعد عمار قادرًا على التفريق بين ما يفكر فيه حقًا وبين ما يبثه قرينه

في عقله..

قد تكون فكرة التنازل عن البصر هذه مستوى آخر من تلاعب قرينه به..

والأكثر من ذلك ظن عمار أنه قام بالذهاب لمقابلة الشيخ سلامة، ويجوز أنه لم يتحرك من شقته من الأساس..

لكن في كل الأحوال لقد اتخذ عمار قراره بالذهاب إلى إحدى المستشفيات الخاصة التي تعمل في كل ما هو غير مصرح به، سواء كان مهنيا أم أخلاقيا..

وفي حالة عمار، فإنه قام بدفع مبلغ مقابل إتلاف بعض أعصاب قرنية عينيه، فهذه العملية كفيلة أن تجعله لا يرى الضوء مرة ثانية..

وكان مجبرًا في التجائه لهذه المستشفى لأنه لا يوجد مستشفيات محترمة ستوافق على فعل ما يريد..

قامت المستشفى بأخذ توقيع عمار على رزمة من الأوراق التي تقول أنه يتحمل المسئولية الكاملة عن هذه العملية، وأنه يفعلها بكامل إرادته..

أراد عمار أن يتم ذلك في سرية تامة، لكن لا أحد يعرف كيف تسرب الخبر للصحافة..

عندما جاء وقت اختبار نجاح العملية من عدمه وجد عمار نفسه وقد أصبح حديث الصباح والمساء في الصحافة والإعلام، فما من أحد لا يريد معرفة الشيء الذي يجبر إنسانًا على التنازل عن نعمة البصر لديه.. مهما كان ما يتعرض له..

غضب عمار بشدة عندما وجد نفسه أمام كل تلك المطالبات بتبرير فعلته..

لكن كان من الصعب عليه فعل ذلك، هو يعلم أنه جزء من شعب يتدخل كل فرد فيه في حياة الآخر.. شعب لا يعرف شيئًا عن الخصوصية.. شعب يدّعي الجميع فيه النزاهة..

شعب يرى نفسه دائمًا أنه من الشعوب الأكثر تدينًا، لكن الكثير منهم أبعد ما يكونون عن الدين وتعاليمه..

وفي حالته تلك يوجد أكثر من طريقة لتسريب خبر العملية التي قام بها..

منها المستشفى نفسها لعمل دعاية لهم بعد أخذ كل التوقيعات التي تُخلي مسئوليتهم.. أو أحد العاملين في التمريض، أو حتى ثرثرة عمال النظافة.. لم يتمكن عمار من لوم أحد بعينه..

كل ما استطاع فعله هو عدم تلبية أي من طلبات الظهور الإعلامي للتجارة بالشيء غير المألوف الذي قام به والاكتفاء بإرسال تصريحات على لسانه أنه فعل ذلك بكامل إرادته..

*****

الفصل السادس عشر

ياسين

بعد مرور عدة أيام، وفي ليلة هادئة كان حسام قد أعد كل شيء لإخراج عمار من المستشفى وإعادته إلى منزله.

اتفقا على ألا يتم ذلك إلا في ساعة متأخرة من الليل..

لكي لا يلاحظهم أحد من شباب الصحافة المنتظرين بالخارج..

عند وصولهم للشقة قال حسام وقد ارتكن عمار إلى كتفه:

-على مهلك يا صديقي..

تخطى به درجات السلم بحذر..

اكتفى عمار بهز رأسه، فإنه لم يتحدث كثيرًا من بعد العملية.. كأنه في صدمة مما فعل في نفسه..

فتح حسام الباب وأدخله بحرص، قام بتجهيز الفراش له ثم أرقده بعناية..

كان يرى التوتر على وجهه، لكنه آثر ألا يكرر عليه السؤال بمعرفة سبب فعلته تلك.. فلا شيء يبدو منطقيًا في الأمر.. لكنه تركه يأخذ بعض الراحة..

إلى أن سمع صوت عمار يقول:

-اذهب أنت يا حسام، لقد عانيت معي طوال الأيام السابقة، أنا الآن بخير..

قال حسام:

-لن أذهب لأي مكان، سأمكث بجانبك بضعة أيام لمعرفة إذا ما كنت ستعتمد على نفسك أم ستحتاج لمن يرافقك..

قال عمار:

-استمع لما أقوله لك يا صديقي، هذه شقتي، أعلم كل ركن فيها جيدًا، اذهب أنت لبيتك لترتاح..

قال له:

-حسنًا، كما تريد، لكني سأذهب الآن وسأعود لك في الصباح..

بعد رحيل حسام أخذ عمار يفكر فيما فعله بنفسه..

أكان ذلك أفضل قرار أمامه..

أم أنه تسرع فيه.. لكنه رأى أن كل الأبواب أوصدت في وجهه وألا مفر له سوى ما فعله واهتدى إليه..

شعر بوهن روحه المهلهلة فأشفق على نفسه واغرورقت عيناه بالبكاء، لكنه توقف عندما وجد ذلك مؤلم جدًا..

حينما هدأت نفسه قليلًا سمع خطى أقدام تقترب منه فقال:

-حسام.. ألم ترحل بعد؟

أجابه صوت ما قائلًا:

-ماذا فعلت بنفسك يا صديقي؟!

تعرّف عمار على صوت المتحدث، كان ياسين.. فقال:

-كيف حالك يا ياسين؟ كيف تمكنت من الدخول؟

أجابه قائلًا:

-لقد وجدت الباب غير مغلق..

قال عمار بنبرة صوت معاتبة:

-أين اختفيت كل هذه الأيام؟

قال ياسين:

-أعتذر عن انشغالي عنك يا صديقي.. لم أكن لأعلم أنك ستفعل بنفسك ذلك أثناء غيابي.. أريد أن أفهم ما الذي أصابك جعلك تقدم على ذلك..

صمت عمار ولم يجبه..

فتابع ياسين:

-هند السبب؟

قال عمار:

-لا.. هند ليس لها دخل بما حدث.

قال ياسين:

-بل هي أساس كل ذلك.. هي لم تحبك أبدًا.. نصيحة من صديقك ياسين،

لا تثق بأحد هذه الثقة العمياء، لا تثق إلا بنفسك فقط..

قال عمار في غضب:

-ماذا تقصد؟

-هند لم تحبك أبدًا يا عمار! لقد تزوجت من غيرك، والآن تحب شخصًا آخر وأنت لا وجود لك في قلبها..

-اصمت يا ياسين، أنت تتفوه بحماقات ليس أكثر! وأنا متعب ولا أحتمل ثرثرتك..

-حسنًا، سأكف عن الحديث..

صمت الاثنان قليلًا..

ثم قال عمار سائلًا:

-من ذلك الشخص الذي تتحدث عنه؟

وقع رد ياسين على سمع عمار كهزيم رعد شديد كادت قوته أن تشق قلبه حين قال:

-حسام.. إنه يتقرب منها من بعد وفاة زوجها الضابط وقد طلب منها الزواج..

انفعل عمار وقال في حنق:

-ياسين ماذا تقول! حسام ليس صديقي فقط، هو بمثابة أخي.. لا ولن أصدق أنه سيفعل بي ذلك يومًا..

قال ياسين في خُبث:

-لقد قلت لك ما أعرفه وأراه واضحًا..

وتابع..

-سأمكث معك بضعة أيام لأكون بجانبك لأعوضك عن تقصيري معك..

قال عمار:

-لا داعي لذلك، لا تُتعب نفسك..

قال ياسين:

-لا يوجد ما يتعبني، سأمكث معك لكن لا أريد أن يعرف أحد أني هنا، حتى حسام..

قال عمار:

-لم ذلك؟

قال ياسين:

-لا أريد أن أتحدث مع حسام لبعض الوقت، عندما يأتي سأختبئ في أي غرفة لكيلا يشعر بوجودي..

قال له عمار:

-حسنًا، والآن اتركني بمفردي واذهب للنوم في غرفة أخرى..

تحرك ياسين إلى خارج الغرفة وهو يقول:

-إذا أردت شيئًا أنا بجانبك..

تألم عمار كثيرًا من حديث ياسين ولم يذق طعم النوم تلك الليلة، وكأنه كانت تنقصه تلك القصة..

بدأت الوساوس تدور في رأسه وهو يقاومها مردداً..

-«مستحيل.. حسام وهند يفعلون بي ذلك.. مستحيل..! ياسين اختلق هذه القصة لوجود شيء ما بينه وبين حسام لا أكثر..»

حاول عمار تجاوز ما سمعه من ياسين.. لكن الأمر برمته أشعره بالضيق.. أخذ يفكر في حالته الآن، أنه أصبح أعمى لا يرى شيئًا.. وأن بالتأكيد هند

لن تقبل الزواج منه وهو على هذه الحالة..

لا يعرف مدى صحة هذه الخطوة الذي أقدم عليها..

لكنه يعلم جيدًا أنه سيعرف إجابة سؤاله هذا مع مرور الأيام..

بعد مرور شهر على ذلك اليوم لم ينقطع حسام يوميًا عن الحضور وتلبية احتياجات عمار وتجهيز الطعام له.. من دون أن يُشعِر عمار بالعجز..

لكن لم تستطع ملامح عمار إخفاء ذلك.. فحياته قد توقفت بالكامل، فلم تعد تلامس قدماه الطريق من بعد يوم العملية..

لكن شيئًا واحدًا يهون عليه شعور العجز هذا.. أنه لم يعد يسمع أو يحلم بقرينه مرة أخرى كأنه أصبح في حالة صدمة مما فعله عمار..

فإن هذا القرار لا يقدر على أخذه كثيرًا من البشر..

كان عمار ممتنًا كثيرًا لما يفعله حسام معه..

وفي كل مرة يتأكد من عدم صحة حديث ياسين عن محاولته التقرب من هند..

على الجهة الأخرى لا يعرف حسام ما سبب تهرب عمار منه دومًا كلما حاول فهم ومعرفة أسباب قراره ذلك..

كان حسام يشعر أن الأمر ليس بالقليل.. لكنه تعب من كثرة التكهُن بتلك الأسباب..

قرر عدم التفكير في ذلك مرة أخرى، إلى أن يخبره عمار بمفرده بكل شيء إذا أراد..

في هذه الأثناء لم تكف محاولات ياسين عن تشكيك عمار في وجود علاقة قائمة بين حسام وهند وأنه أصبح بلا قيمة عندهم بعدما تنازل عن بصره..

كانت هذه الكلمات الجارحة لها وقع سيء في نفس عمار.. حتى ضاق

صدره بياسين وطلب منه مغادرة الشقة وتركه بمفرده.. ولم يكن أمام ياسين سوى ترك الشقة استجابة لتلك الرغبة..

*****

الفصل السابع عشر

العم الكبير غلاب

على صعيد آخر في بيت كبير ساده الهدوء نرى شابًا يهرول إلى صوت نداء في الدور الثاني، يقفز مسرعًا على السلالم ليدخل غرفة كبيرة بها رجل كبير في السن عظيم في الهيبة يقول..

-منصور.. اذهب إلى منزل الأستاذ قطب المحامي.. قل له....

أوقف سعال شديد الرجل عن استكمال حديثه للشاب الذي ناوله كوبًا من الماء شرب منه القليل ثم أكمل..

-قل له أبي يريدك الآن، اجعله يترك كل ما في يده ويأتي إلى هنا في الحال..

قال الفتى في طاعة وأدب:

-أمرك يا أبي.

ثم غادر مسرعًا لتنفيذ ما طلب أبيه..

دخلت إلى الغرفة امرأة كبيرة في السن تقول:

-كيف حالك الآن يا أخي؟

أجابها:

-أصبحت بخير الآن..

قالت متفحصةً فيه..

-قابلت منصور أثناء صعودي إليك، قال أنك أرسلته في طلب المحامي، أيوجد خطب ما؟

نظر لها في إعياء وقال:

-في الأيام الماضية أثناء مرضي الشديد لم أكن خائفًا من شيء إلا من أمر واحد، تردد كثيرًا على عقلي.. طلبت من الله أن يشفيني لأقوم بتصحيح الخطأ الذي اقترفته قبل سنوات.. خطأ حرمان أخي حمدي من حقه في ميراث والدنا.. لقد عمتني الأطماع في تملك الأراضي التي لطالما كنت أنا من يرعاها، حرمته منها فقط لأنه لم يكن يعيش معنا هنا.. كنت لا أرى له حقًا فيها.. جاء إلي منذ أيام يعاتبني في منامي.. وقال لي عمار يحتاج إليك بجانبه يا غلاب..

امتلئت عينا أخته كريمة بالدموع، ووضعت يدها على كتفه عندما وجدت عيناه تفيض بالدموع أيضًا قائلة:

-هون على نفسك يا غلاب، سيكون كل شيء على ما يرام..

أجابها قائلًا:

-لا..

ابتلع ريقه في صعوبة وتابع..

-لن أرتاح حتى يعود الحق إلى أصحابه وأرُد لعمار ابن أخي ميراثه وميراث والده الذي حُرم منه كل تلك الأعوام.. وأطلب منه مسامحتي على ما فعلت به وبأبيه من قبله.. كان من المفترض أن أرعاه بعد موت أخي وأكون له عم ووالد لكني لم أفعل.. بل حرمته من حقه فوق ذلك..

أخذ يبكي مرة أخرى..

بعد وقت قليل سمعا طرقات على باب الغرفة فوقفت كريمة وفتحت الباب، كان منصور وبرفقته المحامي قد وصلوا فأدخلتهم وانصرفت لتتركهم بمفردهم..

.....

في هذا التوقيت كان عمار يتأقلم مع حياته الجديدة..

الحياة التي لا يرى فيها سوى اللون الأسود..

لقد علم ما مدى نعمة أن يكون الإنسان بصيرًا، لكنه فعل ذلك للحفاظ على كل من يقترب منه..

فخلف الوجه الوسيم هذا قاتل لا يرحم، مخادع شديد العداوة والحقد على بني الإنسان..

يضحك بسخرية على نفسه عندما يتذكر الأيام التي ظن فيها في صغره أن قرينه هذا، ما هو إلا صديق له، يتأذى لأذيته ويأخذ له حقه ممن ظلموه..

لم يكن يعرف أن هذا الصديق هو ألد أعدائه..

لطالما فكر في نشر تجربته تلك في كتاب لينتبه البشر لهذا العدو الخفي، لكنه لم يستطع الاعتراف أنه تسبب في موت بعض الأشخاص..

***

كان حسام يفعل كل شيء لصديقه، فقد أخذ على عاتقه رعايته، بل أنه كان يشرح له ما فاته من محاضرات ويريد منه إكمال دراسته..

كان يلوم على عمار في بعض الأوقات اتخاذه ذلك القرار دون أن يدرس جميع جوانبه..

فلم يتنازل عمار في ذلك اليوم عن بصره فقط، لا لقد تنازل عن كل حياته ومستقبله..

ذات ليلة شعر عمار ببرودة شديدة أثناء النوم.. وجد نفسه يقف في مكان خال بمفرده، بدا كصحراء

كاحلة لا يرى فيها أي عمران..

أخذ ينظر حوله على يمينه ويساره في خوف يرى بعض الأضواء من بعيد ثم تختفي ثم يرى كيانات سوداء تحيط به، حتى دقق النظر في أحدهم ليقوم مفزوعًا بعدها.. وهو يصرخ ويقول «لا ليس بعد كل هذا! ليس بعد كل هذا!»

أخذ يكرر جملته تلك في صدمة..

لم يكن الحلم ما أثار الخوف في نفس عمار..

إن ما أفزعه هو عودة تلاعب قرينه بعقله وأحلامه..

فهذه المرة الأولى منذ العملية التي يرى فيها قرينه..

لم يمر شهران حتى عاد ذلك الشيطان يطارده في أحلامه، لكنه يتمنى لو يكتفي هذا الشيطان فقط بالتلاعب به..

عندما حضر حسام في اليوم التالي شعر أن عمار به شيء غير طبيعي..

لم يتردد في سؤاله، وكان الجواب الذي تلقاه كالمعتاد من عمار..

أن لا شيء..

مر يومان بدون أحلام وعادت الحياة لطبيعتها وقد أرجع عمار الحلم لنفسه، لأنه يشغل عقله كثيرًا بالتفكير بحاله قبل العملية وأن حكايته تلك لم يكن هو ليصدقها لو قصها عليه أي شخص..

سمع طرقات على الباب فاتجه ليفتح لحسام، لكنه تفاجأ عندما سمع صوتًا لم يسمعه منذ فترة حتى بينه وبين نفسه..

-كيف حالك يا عمار؟!

-أنا بخير..

قالها وقد تلون وجهه بعدة ألوان من الموقف..

فإنها الوحيدة التي لم يكن يحب أن تراه في هذه الحالة..

بادرته قائلة:

-ألن تقل لي تفضلي؟

أزاح جسده من أمام الباب مستدركًا..

-بالطبع، تفضلي..

فدخلت وأرادت أن تساعده على الحركة، لكنه رفض قائلًا:

-لا عليك، أنا أعتني بنفسي جيدًا.

ثم دخل خلفها دون أن يغلق الباب..

قالت بصوت رقيق:

-أعتذر عن حضوري في هذا الوقت المبكر..

قال لها:

-لا داعي للاعتذار، أنا أستيقظ باكرًا على كل حال.. كيف حالك يا هند؟

قالت:

-بخير.. أريد الاطمئنان عليك أنت..

وترددت قليلًا قبل سؤاله..

-لمَ فعلت ذلك يا عمار؟

تنهد بحزن وقال:

-لا أريد الحديث عن الأمر.. فقد حدث ما حدث.. على كل حال لنقل أجبرتني ظروف على ذلك..

عاودت هند سؤالها في إلحاح:

-أي ظروف تلك التي تجعلك تتنازل عن بصرك؟ الأمر في كل الصحف، حالتك أصبحت لغزًا بالنسبة لكثير من الناس.. ما زلت لا ترغب في البوح عما يحدث لك؟

أجابها عمار مراوغًا يريد تغيير مسار الحديث..

-لا تقلقي بشأني وحدثيني عنكِ أنتِ، كيف حالك وما تفعليه الآن بحياتك..

فهمت هند أنه لا يريد البوح بما يحدث له..

فقالت:

-أنا بخير، ولا أفعل شيئًا سوى التفرغ لتربية رائد..

قال لها:

-ألم تأتِ به معكِ؟

قالت:

-إنه معي، لكنه ما زال نائمًا..

طلب منها أن يحمله.. فوافقت على ذلك ووضعته بين يديه الممتدين في حب..

قام عمار بضمه إلى صدره وتقبيله..

وأخذ يبكي عندما تذكر أنه تسبب في حرمانه من والده قبل مجيئه إلى هذه الحياة، لكنه قال لتبرير بكائه:

-كنت أتمنى أن أراه..

اعتقدت هند أن بكاء عمار سببه أنه كان يتمنى لو كان هذا الطفل منه هو لو كانت أحلامهم تحققت يومًا..

لم يمر وقت طويل حتى قالت هند:

-سأذهب الآن يا عمار، وسآتي للاطمئنان عليك مرة أخرى قريبًا..

قال لها عمار:

-لقد سعدت كثيرًا بهذه الزيارة يا هند، وأتمنى أن تكرريها كل فترة لأقضي بعض الوقت مع رائد..

وعدته بذلك قبل أن تغادر..

*****

الفصل الثامن عشر

لا شيء يوقف الشيطان

مر يومان على زيارة هند التي أسعدت عمار كثيرًا، فلقد شعر بالسعادة، رغم تذكره ما فعله قرينه بزوجها وتألمه بذلك.. لكنه تمنى لو تكررت هذه الزيارة كثيرًا.. تمنى لو استطاع استعادة نظره لرؤيتها ويعود لظلامه بعد ذلك..

كان يجلس بمفرده في الصباح منتظرًا حضور حسام.. ليكسر وحدته تلك..

لكنه لا يعرف لمَ تذكر عمه غلاب وأقاربه في البلدة المجاورة في هذا التوقيت..

أرجع ذلك لشعوره بالوحدة، وأنه كان ينبغي تواجد الجميع بجانبه في محنته تلك..

لكنه يعذرهم لأنه لم يخبر أحدًا..

ثم قال في نفسه «لكن جميع القنوات الفضائية والصحف تحدثت عني.. أمن المعقول أن أحدًا منهم لم يقرأ الخبر أو سمع عنه؟»

وقبل أن يترك نفسه للأسى والحزن.. قال في نفسه «لا يا عمار، كن قويًا

ولا تنتظر عطف أو شفقة أحد..»

في هذا التوقيت اتجه إلى الباب عندما سمع صياح حسام كعادته مناديًا..

-عمار.. يا عمااار..

فتح الباب في هدوء قائلًا:

-ألن تكبر كفاية على تلك التصرفات؟

أجابه حسام مازحًا:

-لا، سأبقى طفلًا تافهًا هكذا حتى أشيخ ويشيبُ شعري..

ضحك الاثنان، ثم دخل حسام لإعداد الفطور الذي أتى به معه..

بعد الفطور ظلا يتحدثان عن أمور كثيرة ويتبادلان الذكريات والضحك، بقيا على هذا الحال طوال اليوم حتى رحل حسام في المساء بعد أن أدخل عمار إلى فراشه لينام..

بعد عدة ساعات وجد عمار نفسه في بيت عمه غلاب يمشي في اتجاه حمام الدور الثاني..

وقف أمامه قليلًا ثم تقدم إليه ببطء ووضع يده على مقبضه، وعندما فتح الباب فزِع من رؤية عمه ملقى على الأرض، ينزف دمًا من رأسه، ووجد قرينه يقف فوق رأس عمه الملقى على الأرض مبتسمًا ويقول:

-ظننتَ أنك بالتخلي عن بصرك ستجعلني لا أرى من تراهم؟ هذا غير صحيح، أنا لا أرى بعينيك، أنا لدي ما لديك من حواس.. وحتى إن كان ما تعتقده صحيحًا فلا بأس.. فأنا أستطيع البحث عن صور الأشخاص في ذكرياتك، وسأظل أبحث وسأقتل كل من لك عداوة معهم حتى لو انتهت، ومهما مر عليها من أعوام.. أنا أجري منك مجرى الدم.. وقد قلتها لك منذ البداية؛ لن يفصلنا إلا الموت.. الموت وليس شيئًا آخر!

وارتعد جسد عمار وهو يرى شبيهه يقطع رقبته بالسكين مما أفزعه وأيقظه من نومه..

إنها إشارة صريحة لحثه على الانتحار..

تذكر عمه، وهل إذا ما كان بخير أم أنه مات بحلول ذلك الوقت..

انكمش عمار مرتعدًا على فراشه وقد تمكنت منه مشاعر اليأس والهزيمة حتى أصبح يشعر أنه ليس بمفرده، وأن أحدًا ما معه في الغرفة دائمًا..

أخذ يفكر في بصره الذي تخلى عنه دون فائدة.. ويتحسر عليه وعلى نفسه..

قال في نفسه «لماذا قال لي الشيخ سلامة إنه يرى بعيني..»

جاءته إجابة قرينه سريعًا قائلًا..

-«يؤسفني أن أخبرك أنك لم تذهب ذلك اليوم إلى أي مكان، لقد صنعت لك هذه المقابلة في حلمك وجعلتك تتيقن أنها حقيقة.. التلاعب بك أمر سهل جدًا عليّ..»

قال عمار في غيظ:

-«ماذا تريد مني أيها الشيطان الخبيث..»

قال قرينه..

-«أريد إثبات أنك لست أفضل مني.. أنا الأقوى والأفضل..»

قال عمار في استسلام:

-«معك حق، لكن أنا من سهّل عليك التلاعب بي، وذلك لا يرجع لقوتك أكثر ما يرجع لضعفي.. أنا من ابتعد عن المنهج والطريق إلى الله.. لكني أعدك أيها الخبيث أني لن أدعك تتلاعب بي مرة أخرى..»

أجابه قرينه متحديًا..

-«أنت مخلوق طيني ضعيف بلا عزيمة، لا تطيق الالتزام بكل تلك القيود.. أما أنا مخلوق من نار، أنا الأفضل، أنا من يستحق هذه المكانة والسمو.. أنا أفضل منك في كل شيء.. ولن أتوانى حتى أثبت ذلك.. سأوسوس لك وأخلط عليك الأمور حتى ترجع..»

قال عمار متحديًا:

-«سنرى أيها الرجيم!»

قام من جلسته تلك وذهب يتحسس بيديه الأثاث والجدران، كانت المرة الأولى التي يسقط فيها أرضًا من شعوره بالخوف والتوتر، لكنه تدارك سيطرته على نفسه وقام مرة أخرى، حتى وصل إلى الثلاجة، أخرج قنينة ماء فشرب حتى ارتوى، شعر بالعطش كأنه تائه في صحراء جرداء تلفحته شمسها حرقًا حتى عثر على بئر بعد معاناة.. جلس على طاولة الطعام يفكر.. هل يستطيع استعادة بصره مرة أخرى.. أم سيظل هكذا لموته..

وإن كان هذا ممكنًا؛ من أين له أن يأتي بالمال، فلقد دفع كل ما ادخره يومًا في عملية التنازل تلك..

أخذ يتحسس حركاته في بطء حتى وصل إلى الحمام، توضأ وأخذ قليلًا يتذكر ويحدد اتجاه القبلة ونوى أن يصلي ركعتين توبة إلى الله بنية كشف السوء عنه وتحصينه..

بدأ الصلاة وما إن بدأ في قراءة الآيات حتى شعر بالضعف والالتجاء إلى الله ورحمته..

لم تتوقف عيناه من سحيح الدموع طوال الصلاة.. أخذ يدعو في سجوده ويقول باكيًا..

«لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»

أخذ يرددها كثيرًا حتى انتهى..

مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة

وما إن انتهى حتى سمع سقوط وتطاير أطباق وأوان من حوله وهو لا ينطق بشيء إلا ذكر الله بصوت مرتفع..

لم يوقف ما يحدث إلا صوت حسام، اتجه عمار في حذر إلى الباب ففتحه وأدخله..

فقال عمار في خوف:

-لماذا تأخرت كل ذلك الوقت؟

أجابه حسام وهو ينظر حوله ويتعجب سبب تلك الفوضى..

-ماذا حدث؟ أنت بخير؟ هل دخل عندك لص؟!

قال عمار:

-لا، أنا من فعل ذلك بغير قصد..

أخذ حسام بيده وأجلسه على طاولة الطعام وقال له:

-لا بأس، سأقوم بترتيب كل شيء.. سامحنى لن أتأخر عليك مرة أخرى..

قال عمار:

-أريدك أن تبحث عن تكلفة عملية زراعة قرنية العين..

قال حسام:

-ماذا؟

-ألم تسمع!!

قال حسام:

-بلى سمعت.. لكن، ألم يكن هذا قرارك؟ لم ترجع فيه الآن؟ وهل أنت متيقن من استطاعتك فعل ذلك وأن عيناك ستتحمل إجراء مثل تلك العملية مرة أخرى؟

قال عمار:

-إن شاء الله سأستطيع وأتحمل كل شيء.. لكن أبحث فقط عن التكلفة..

قال حسام:

-سأفعل، لعله خير بإذن الله..

بعد الإفطار أخرج حسام جهازه المحمول وأخذ يبحث عن بعض المستشفيات والاتصال بأرقامهم للاستفسار عن تكلفة العملية ونسبة النجاح.. وبعد عدة أيام من البحث والمقارنة..

توصل حسام لمستشفى تأتي بأطباء من الخارج خصيصًا لإجراء تلك العمليات بتقنية ليزر الفيمتو ثانية الحديثة.. لكن التكلفة مرتفعة نسبيًا..

أخذ يفكر كل منهما عن طريقة يوفرا بها ذلك المبلغ..

وبينما هم كذلك إذ بأحد ما يطرق على باب الشقة، فقام حسام ليرى من الطارق..

سمع عمار صوت شخص يسأل عنه، كان منصور ابن عمه غلاب..

انقبض قلب عمار، فهذا بالتأكيد يحمل خبر وفاة عمه، قال بصوت مرتفع:

-تفضل يا منصور..

دخل منصور ووضع يده في يد عمار الممتدة له في غير اتجاهه.. جلس ووضع حقيبة بجانبه..

قال عمار:

-كيف حالك يا منصور؟ وكيف هي صحة عمي لعله بخير..

أجابه في جمود:

-لقد توفي عمك منذ ثلاثة أيام يا عمار..

صُدم عمار وكأنه لا يعرف ذلك مسبقًا، وأخذ يبكي ويترحم على عمه..

هو لا يحبه، لا ينسى أكله لميراث والده وحرمانهم منه في حياة والده وبعد مماته، لكنه يعرف أنه من أسباب موته..

قال منصور وهو يلتقط الحقيبة من جانبه ليضعها في يد عمار.. الذي سأله ما هذا..

أجابه منصور:

-قبل موت أبي بأسبوع طلب من المحامي الخاص به أن يحسب له حق عمي حمدي في الأراضي والمنازل ليعطيك حقك وحق عمي رحمه الله..

اندهش عمار مما سمع.. لكنه لم يعلق..

تابع منصور قائلًا:

-كأنه كان يعلم أن موعده قد حان، وكان يريد أن يقابل ربه دون ظلم ابن أخيه، يكفي أن أخيه مات وهو غاضب منه..

بكى عمار على عمه غلاب وكاد يُجن مما فعله هذا الشيطان بداخله..

سأل عمار ابن عمه كيف مات والده..

أجابه منصور أن والده كان مريضًا وقد تحسن قبل الحادث ببضعة أيام، لكنهم وجدوه صباح ذلك اليوم ساقط على أرضية الحمام وقد ارتطم رأسه بالحوض أثناء السقوط مما أثار جرحًا غائرًا في رأسه، وظل على هذا الحال طوال الليل حتى تصفى دمه..

كان وجه عمار يتقلب وهو يستمع لوصف منصور الذي رآه قبل ذلك في الحلم..

بعد عدة ساعات قليلة تحدث فيها عمار ومنصور عن كل شيء وعما فعله عمار بعينيه..

حاول عمار إقناع ابن عمه أن ما حدث كان مجرد حادث وأنه سيقوم

بإجراء عملية أخرى لاستعادة بصره قريبًا، وشرح منصور أنهم قرأوا عن الأمر من وقت قريب، لكنهم كانوا غير متأكدين من أن عمار هو المقصود، خصوصًا أن الصحيفة لم تكن بها صور له..

بعد تبادل أحاديث كثيرة فيما بينهم، استأذن منصور بالذهاب بعد احتضان ابن عمه قائلًا له:

-بيت عمك مفتوح لك في أي وقت، نحن أخوة ولا نريد أن نكرر تفرق آبائنا.. ليكن في اجتماع شملنا راحة لهم ورحمة..

أجابه عمار أن بالطبع لن ينقطعوا عن بعضهم البعض مرة أخرى..

بعد رحيل منصور أخذ عمار يشب ذلك الوغد بداخله ويقول..

«كنت تعرف أنه أعاد لي حقي وحق أبي فلمَ قتلته لما أيها الشيطان اللعين..!»

هنا خرج حسام الذي كان يجلس في الشرفة لتركهم على راحتهم..

فقال له عمار أن يتصل ويحجز أقرب موعد لإجراء العملية..

قام حسام بالاتصال وحجز يوم العملية بعد عدة أيام وسيجريها لعمار طبيب سيأتي له خصيصًا من لندن يدعى دكتور فابيان..

تذكر انك حملت رواية الشبيه الأسود من مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة

وقد ذهبا في اليوم التالي إلى المستشفى لعمل الفحوصات اللازمة وتقييم حالة عمار قبل العملية خصوصًا أنه أجرى عملية في عينيه منذ ثلاثة أشهر مضت تقريبًا..

*****

|الفصل التاسع عشر

الوقت الحاضر

يناير ٢٠١٤م ٢٣:٠٠ مساءً

وضع حسام القلم جانبًا وهو يطقطق أصابعه ويقول لعمار..

-يا لها من قصة غريبة، كيف لك أن تتحمل كل هذا بداخلك دون أن تشارك أحدًا به؟ لمَ لم تخبرني على الأقل؟ أتظنني سأقول عليك قاتلًا كما تخاف أن يتهمك الناس بذلك؟

قال عمار:

-هذه الأمور ليست من النوعية التي يتشارك بها الآخرون.. إنها تبدو كاللعنة التي لا مفر منها..

رد حسام نافيًا:

-لا يا عمار، أنت أقوى من ذلك الشيطان، وما أنت فيه الآن ليس إلا ابتلاء من الله لأنه يُحبك ويريد أن يُرجعك إليه.. ستنام الآن وسأجري العملية غدًا وستستعيد بصرك بإذن الله..

ردد عمار:

-بإذن الله..

-حسام لا أحد يعرف شيئًا عن هذا الحديث.. لقد آثرت أن أكتبه لتذكير الناس بالعدو الذي نسيناه..

-إنه يعرف كيف يتلاعب بنا جيدًا.. إنه يعلم فيما نفكر، بل يستطيع أن يوهمنا أن ما يريده هو نفسه ما نريده نحن..

في اليوم التالي دخل عمار إلى غرفة العمليات، وبعد أقل من ساعة كان دكتور فابيان يخرج مبتسمًا ومعه دكتور حاتم الذي طمأن حسام وقال:

-لقد تمت العملية بنجاح، وسيتم نقل عمار لغرفة الرعاية بعد قليل..

تهلل وجه حسام.. أن صديقه أخيرًا تخلص من ذلك الكابوس المظلم.. الذي مكث فيه لثلاثة أشهر..

وبينما كان منتظرًا إذ به يرى هند قادمة نحوه وهي تسأل:

-كيف حاله الآن يا حسام؟

أجابها قائلًا في عبوس:

-ماذا أتى بك إلى هنا يا هند؟ ألم أخبرك ألا تأتي وإني سأطمئنك عليه بالهاتف.. ماذا سأقول لعمار لو علم أنكِ هنا؟ سيغضب مني عندما يعرف أني أخبرتك بموعد العملية..

قالت هند غير مهتمة بما قاله:

-قل لي كيف حاله أولًا..

أجابها حسام مبتسمًا..

-لقد خرج الطبيب من غرفة العمليات للتو وقال لي أن العملية قد نجحت..

تهلل وجه هند وهي تحمد الله على فضله أنه أعاد له بصره على خير..

بعد ساعة دخل حسام إلى الغرفة التي تم نقل عمار إليها وجده وما زالت تلتف حول عينيه لفائف الشاش..

قال له بصوت هادئ:

-حمدًا لله على سلامتك يا عمار، لقد نجحت العملية..

قال عمار:

-الحمد لله.. سأخرج من هنا في أي وقت يا حسام..

-انتظر قليلًا يا عمار، لم العجلة؟ مضى الكثير ولم يتبق إلا القليل..

قال حسام في تردد..

-عمار.. يوجد أحد بالخارج يريد رؤيتك والاطمئنان عليك..

قال له عمار:

-ومن يعلم غيرك أننا هنا؟

قال له:

-لا تغضب مني، هي من ألحت عليّ لأقول لها الموعد..

تمتم عمار قائلًا:

-هند؟!

قال حسام:

-نعم..

ثم ذهب إلى الباب وأدخلها وخرج وأغلق الباب خلفه..

هند قائلة في خجل:

-كيف حالك يا عمار؟

عمار:

-الحمد لله، أنا بخير حال يا هند.. أنتِ كيف حالك؟ وكيف حال رائد؟ ألم تأت به معكِ؟ أنا لا أسمع صوته..

-لا، تركته في البيت، كنت أخاف عليه من المستشفى.. سآتي به إليك عندما ترجع لشقتك.. أنا في بالغ السعادة من أجلك..

-متشكر يا هند..

كانت هند سعيدة حقًا لعمار، خصوصًا أنها وقد بدأت تراودها تلك

المشاعر السابقة تجاهه هي لم تنس زوجها رائد وتُكنّ له كل الاحترام والتقدير، لكن هي لا تزال تعلم ألا أحدًا ملك قلبها وعقلها وكل ما فيها مثل عمار، وتظن أنه لن يكون له بديل بداخلها أبدًا..

كانت الجلسة قصيرة فاستأذنت منه لتتركه ليرتاح..

قام حسام بتوصيلها وعاد إلى عمار ومعه نظارة سوداء ليرتديها أثناء موعد مغادرتهم للمشفى..

والذي حدده الأطباء بعد ثلاث ساعات من العملية..

عاد إلى شقته وقد نزع لفائف الشاش في المشفى واستبدلها بالنظارة السوداء وقد قام الطبيب بالتنبيه عليه.. بعدم تعرض العين لأشعة الشمس المباشرة ولا العرق ولا المياه بالصابون أثناء الاستحمام..

ذلك مع عدم الحك باليد فيها هذه الأيام..

مدد عمار جسده على فراشه بمساعدة حسام الذي أتى بكرسي ليجلس بجانبه قائلًا:

-حمدًا لله على سلامتك يا صديقي..

-الله يسلمك يا حسام..

لاحظ حسام أن عمار شارد بذهنه من بعد العملية، كان يظن ذلك من تأثير التخدير لكن يبدو أن هناك أمر آخر.. شيء ما يشغله..

فقال بهدوء:

-ما بك يا عمار؟ ألاحظ أن بك شيئًا ما..

قال عمار:

-لست متأكدًا مما رأيت.

وصمت..

فتابعه حسام قائلًا:

-رأيت ماذا ومتى؟

أجابه عمار:

-أثناء العملية وأنا تحت تأثير المخدر.. كأنني غفوت وحلمت بشخص ما يقترب مني..

قال حسام:

-أهو ذلك اللعين مرة أخرى؟

قال عمار في سرعة:

-لا.. إنه رجل ذو لحية كثيفة يشع وجهه بالبياض اقترب مني ووضع يده على كتفي وقال لي..

-«لا تخف كن مع الله تكن أقوى.. اقترب من الله يبتعد عنك كل سوء..» واستيقظت من غفوتي عندما انتهوا من العملية..

قال حسام فرحًا:

-هذه رؤية خير يا صديقي، أبشر..

بعد عدة أيام كان عمار يستطيع الخروج وقد بدأ يؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها بالمسجد، وفي أحد الأيام انخلع قلب عمار من مكانه حين رأى بعد صلاة الفجر شيخًا أخذ ينظر إليه ويتحقق من ملامحه جيدًا كاد عمار أن يجن.. فهذا الشيخ نفسه الذي رآه أثناء إجرائه العملية..

اقترب عمار منه وجلس بجانبه.. وقال:

-السلام عليكم يا شيخ..

-وعليكم السلام ورحمة الله..

قالها الشيخ وهو ينظر لعمار مبتسمًا..

قال عمار:

-من فضلك يا شيخ، أريد أن آخذ بعضًا من وقتك..

قال له الشيخ في وقار:

-تفضل، قل ما تريد..

بدأ عمار بأن عرف الشيخ باسمه ثم قص عليه حكايته كاملة إلى رؤيته في منامه رغم أنهما لم يتقابلا أبدًا من قبل..

ابتسم الشيخ بعد انتهاء عمار وهمّ واقفًا وطلب منه الوقوف وقام باحتضانه وهو يبكي قائلًا:

-لقد علمت الحكمة يا رب.

واستمر على ذلك لدقيقتين وعمار لا يفهم شيئًا..

قال الشيخ:

-أنا أسمى الشيخ يوسف، من إحدى محافظات الصعيد، إمام وخطيب تابع لوزارة الأوقاف المصرية.. منذ بضعة أيام فقط كنت إمام أحد المساجد الكبيرة في محافظتي.. لكن لا أعلم ماذا حدث لأتلقى جوابًا من الوزارة بنقلي للقاهرة لأمامة مسجد لعدة أشهر، حاولت التملص وحثهم لتكليف غيري وأبقى بجانب بيتي وعائلتي ولكن دون جدوى، حتى توكلت على الله وأتيت.. لأجد السبب الذي جاء بي من الصعيد إلى هنا.. إنه ربك، لعلك دعوت دعوة صادقة إليه ليكشف عنك ما أنت فيه فأتى بي من أقصى البلاد لمساعدتك وإعانتك.. فأبشر بالخير تجده إن شاء الله..

قال عمار وقد استشعر رحمة الله عليه رغم تقصيره لسنوات:

-الحمد لله.. كنت أعلم أن الله ربي حليم ستار، ولكن الغفلة ما تحملنا على المعاصي والتقصير..

قال له الشيخ:

-لقد أشرقت الشمس علينا.. هيا نصلي ركعتين قبل أن نذهب، ومن الآن سأقول لك ما ستفعله لنكشف عنك السوء بإذن الله..

صلى كل منهما ركعتي الضحى وذهبا واتفقا على أن يتقابلا في صلاة الظهر..

أخذ الشيخ طوال اليوم يقرأ القرآن برفقة عمار ويعلمه من الأدعية والعبادات ما يجهلها..

حتى عاد عمار نهاية اليوم يشعر بالإرهاق الشديد ودخل إلى غرفته لينام..

نام على جانبه الأيمن ثم ردد بعض الأذكار التي علمها له الشيخ ثم قرأ آية الكرسي وغط في النوم..

ليرى في منامه ما هو أغرب مما رأى في السابق..

استيقظ وأدى صلاة الفجر في جماعة..

ثم جلس للشيخ يوسف وحدثه بما رآه..

قال عمار:

-وجدت نفسي أقف أمام مكان ما لا أعرف هل كان بيتًا أو شقة، هو شيء من هذا القبيل، ولكنه كان مألوفًا جدًا لي، وقد وجدته خاليًا تمامًا، لكني تحركت خطوتين إلى داخله..

-سمعت صوت حركة ما آتية من إحدى الغرف القريبة.. في هذا الوقت تذكرت لم أشعر بالألفة تجاه ذلك المكان، إنه نفس المكان الذي رأيت فيه قريني وأنا صغير، كنا نلعب هنا ونقضي بعض الأوقات.. تحركت بحذر لتلك الغرفة، اقتربت من الباب الموصد ووضعت يدي على قبضته وفتحته ببطء.. وجدت شيئًا لم أره من قبل، كائن صغير له أجنحة تكاد ملامحه تختفي وراء البياض الشديد.. منذ أن وقعت عليه عيني ذهب الخوف من داخلي.. يقف داخل قفص قضبانه من الحديد..

-اقتربت من القضبان لعلي أجد له مخرجًا وأحرره.. لكن القضبان والقفص ليس بهما فتحة باب.. فلم أفهم كيف له من الأساس أن يسجن بالداخل.. إلى أن حدثني وقال..

-ستحررني بالوقت المناسب، فقط الزم ما بدأت به ولا تتراجع..

-كانت هذه الكلمات بمثابة انتهاء لأحداث ذلك الحلم الغريب..

نظر عمار إلى الشيخ الذي بدا مبتسمًا وقال:

-أيدل هذا على خير يا شيخ؟

أجابه الشيخ:

-وهل يوجد ما هو خير من ذلك؟

-بلى يا عمار، والله إنه لخير وأول ثمرات ما نفعله ونقوم به..

كانت تبدو على عمار ملامح من لا يفهم..

فتابع الشيخ حديثه قائلًا:

-بداخل كل منا يا بني اثنين من القرناء.. قرين من الجن وقرين من الملائكة.. قرين الجن يوسوس لك بكل شر وما يُبعدك عن ربك، وقرين الملائكة الذي يهديك دائمًا للطاعات ويحفزك لفعل الخيرات.. وأنت لسنوات طويلة مضت كنت لا ترى إلا قرين الجن.. لأننا الذين نتحكم ونختار لأنفسنا، فالشر بداخلنا والخير بداخلنا، ولكن أعمالنا هي التي تحفز وتقوي كلاً منهم بداخلنا.. أعمالك السيئة هي من تزيد قرين الجن قوة وتحكم بداخلك حتى لا ترى غيره.. وأعمالك الصالحة هي ما تزيد قرين الملائكة قوة وتحكم بداخلك حتى لا ترى غيره.. نحن من نتحكم يا بني.. الذي رأيته في منامك لم يكن بيتًا ولا شقة.. إنما رأيت داخلك.. والتزامك ونيتك الصادقة للرجوع والاستعانة بالله على عدوك.. أزالت الغشاء على عينيك ورأيت قرينك من الملائكة.. لكنه يحتاج منك أن تحرره وتزيده قوة ليعينك على قرينك من الجن.. فكما قلت لك، كلما

زادت طاعاتك زادت قوة وتحكم قرين الملائكة بداخلك بإذن الله..

قال عمار في فرح وحماس:

-إذن قل لي ماذا علي أن أفعل لأحرر قريني من الملائكة يا شيخ؟

قال الشيخ يوسف:

-ما بدأنا فيه بالأمس.. المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها بالمسجد، ألا ينقطع لسانك عن ترديد الأذكار في كل عملٍ تقوم به.. الاستزادة من العلم الديني، الفقه والحديث وأمور الدين.. اقترب من الله بالأعمال الصالحة.. استمع للخير بداخلك دومًا.. خالف هواك وما تأمرك به نفسك أو غيرها من السوء.. وستكون وقتها في أفضل حال بإذن الله.. مَن يقترب مِن الله ينجو..

مرت الأيام وأخذ عمار جلسة عن جلسة يستزيد من العلم والتفقه في دينه والاقتراب من الله بمختلف الأعمال الصالحة..

وقد رأى بعينيه تأثير ذلك على حياته فأصبح لا يسمع قرينه يأمره بسوء ولا يتلاعب به كالماضي ولا يراه في أحلامه.. لا يرى إلا قرين الملائكة الذي يزداد حجمًا وقوة كل يوم عن الآخر..

*****

الفصل العشرون

حادث دكتور نصار

لاحظ عمار في تلك الأوقات غياب ياسين وحسام عنه وعدم التردد عليه كثيرًا كما كانوا..

وبالأخص ياسين الذي لم يزره من بعد إجرائه العملية ولم يأت له للمشفى أيضًا..

قام بالاتصال بحسام ليأتي إليه، والذي قال له إنه في عمل ما وسيكون

عنده في غضون ساعة..

أغلق معه وقام بالاتصال بياسين لكن هاتفه مغلق.. فانتظر إلى أن يحضر حسام لسؤاله عنه..

لم يمر وقت طويل حتى جاء حسام..

قضى عمار ذلك الوقت في قراءة بعض آيات القرآن الكريم..

عندما سمع طرقات الباب بطريقة حسام المميزة..

فتح له قائلًا:

-إن لم أقم بالاتصال بك لم تكن لتأتي، أليس كذلك؟

أجابه حسام:

-لا ليس كذلك.. إنني أعمل هذه الأيام لأساعد والدي في مصاريف البيت، لقد زادت متطلبات البيت وقد أصبح لا يقوى على العمل، وما يتحصل عليه من معاش لم يعد كافيًا..

قال عمار:

-أنا فخور بك يا صديقي، هذه خطوة جيدة منك تدل على رجولتك وبرك بوالديك.. سيعينك الله بلا شك..

حمد الاثنان ربهما وتابعا حديثهم..

قال حسام:

-كيف حالك الآن؟

-أنا بخير حال الحمد لله..

ثم سأله عمار عن ياسين قائلًا:

-ألم تسمع شيئًا عن ياسين؟

تعجب حسام من سؤال عمار، ثم صمت قليلًا..

فتابع عمار حديثه قائلًا:

-أعلم أنكم لا تتحدثون لوجود خلاف بينكم، لكني قلق عليه، فمنذ إجرائي العملية لم أره ولا أسمع عنه شيئًا.. انقطعت أخباره مرة واحدة..

كان حسام يسمع ويبدو على وجهه أنه يعلم شيئًا ما ويخفيه.. فبادر سائلًا عمار:

-متى آخر مرة رأيته فيها؟

قال عمار:

-منذ أن قمت بالتنازل عن بصري، كان يجلس معي كثيرًا بشكل شبه يومي، إلى ما قبل إجراء العملية الثانية لم يأت للمشفى ولم أره بعدها..

صمت حسام كأنه لا يعرف ما سيقوله.. فاستعجله عمار بالرد قائلًا:

-أما زلتما لا يتحدث أحدكم مع الآخر؟

قال حسام بهدوء:

-كنت أنتظر الوقت المناسب لإخبارك، فمنذ يوم قصصت عليّ ماحدث معك لأكتبه وذكرت أن ياسين جاءك ليجلس معك لم أستطع أن أقول لك أن من كان يجلس معك ليس ياسين..

استغرب عمار وقال مبتسمًا:

-أقول لك كنا نجلس نتحدث بالساعات عن كل شيء، ولن أخطئ عن تمييز صوت ياسين..

قال حسام بيقين لا يشوبه شك:

-أقول لك لم يكن ياسين..

ثم تابع وقال:

-ياسين توفي منذ بضعة شهور..

صُدم عمار مما سمع.. وقال:

-ماذا تقول؟ كيف توفي منذ بضعة شهور وأنا أقول لك أنه كان يجلس معي منذ أسابيع قليلة مضت قبل العملية، هل جننت!!

قال حسام:

-أتذكر حادث دكتور نصار؟

قال عمار:

-نعم، وهل ذلك شيء أستطيع نسيانه!

تابع حسام:

-أنت ذهبت إلى السيارة ونظرت على من فيها أليس كذلك؟

قال عمار:

-نعم، يومها رأيت دكتور نصار والسيخ يخترق صدره، ولاحظت أحدًا ما بجانبه، لكني لم أستطع أن أره بوضوح وقتها.. لقد اكتفيت بما رأيت عليه دكتور نصار ورحلت على الفور.. لكن ما دخل هذا كله بياسين؟

قال حسام بهدوء:

-هذا الشخص الذي كان يجلس بجانب دكتور نصار في هذا الحادث يا عمار.. كان ياسين..

وقعت هذه الكلمات على سمع عمار كالصاعقة..

-ماذا تقول؟!

-ذلك ما حدث، أنت تعلم أن ياسين كان يحب التودد والاقتراب من دكاترة الجامعة..

قال عمار:

-إذن من كان يجلس معي كل ذلك الوقت؟

قال حسام:

-يبدو أنه قرينه أو تلاعب آخر فعله قرينك بك لتتحدث إليه لوقت أطول.. فأنت كنت لا تراه، فقط تسمع صوته.. وبالطبع بعد العملية ومقابلتك بالشيخ يوسف.. لم يقدر على التشكل والظهور لك مرة أخرى..

كان عمار ما زال صامتًا يفكر فيما كان فيه من غرابة، وأن القرين كان يتلاعب به ويفعل معه الأفاعيل..

وفهم سر التعازي التي كان يتلقاها من زملائه في الجامعة وكان مستغربًا منها..

كانت تعازيهم لصديقه ياسين وليس من أجل دكتور نصار..

لقد حزن كثيرًا على ما حدث لصديقه ياسين وتسببه في موته..

قص عمار على الشيخ يوسف ما دار بينه وبين حسام من الحديث عن صديقهم ياسين وأنه كيف وصل تلاعب القرين به وقوته لهذا الحد.

قال له الشيخ:

-وإن لم يشأ الله إنقاذك من كل ذلك لمررت بما هو أصعب وأشد، فاحمد الله على ما أنت فيه الآن..

حمد عمار ربه وأخذ يسبح بحمده وشكره إلى أن جاء موعد الصلاة..

كان عمار يرى يومًا بعد يوم تأثير طاعته وقربه من الله على قرين الملائكة بداخله، وقد رآه اليوم وهو يحطم ذلك القفص والقضبان الحديدي وكأنه بالفعل يتغذى على ما يفعله من عبادات وأذكار..

فلقد أصبح لديه ورد يومي من القرآن فضلًا عن وضوئه كل ليلة وصلاته

قبل أن ينام..

ومع مرور الأيام ظهر قرين الجن مرة أخرى في أحلام عمار لكن هذه المرة كان حجمه أقل من قرين الملائكة الذي كلما زادت قوته ضعفت قوة قرين الجن وقل حجمه أكثر فأكثر..

*****

الفصل الحادي والعشرون

وفاء عهد قديم

بعد عدة أشهر وفي مساء ليلة هادئة كان عمار أمام مرآة غرفته يعدل ملابسه ويضع القليل من العطر.

ثم جذب نفسه في تردد من أمام المرآة بعد أن تيقن أن مظهره لا ينقصه شيء..

أخذ هدية ما كانت على طاولة الطعام وخرج إلى موعده..

بعد دقائق كان يقف أمام باب شقة ويدق الجرس في توتر ليفتح له السيد كمال والد هند بابتسامة قائلًا:

-تفضل يا عمار..

دخل عمار وكانت والدة هند تشير له على مكان جلوسه، فقدم لها هديته قائلًا:

-تفضلي..

مدت والدة هند يدها وأخذت ما قدمه لها وهي تقول:

-لم يكن من الداعي تكليف نفسك يا بني..

جلس كل من عمار والسيد كمال في حين دخلت والدة هند إلى إحدى الغرف..

تنهد عمار ليخفف من توتره، ثم قال للسيد كمال:

-إنه لمن دواعي سروري أن أطلب يد ابنتك هند، وأتمنى أن تشرفني بقبولك..

تهلل وجه السيد كمال والد هند وقال لعمار:

-ليس لي رأي قبل أن أسمع رأي هند أولًا، لقد أجبرتها في زواجها الأول وندمت، ولن أقف هذه المرة أمام ما تريده هي..

ثم استأذن من عمار ودخل إلى غرفة هند..

مرت دقائق زاد فيها توتر عمار هو لم يخبرها أنه سيأتي لخِطبتها، ولكنه اطمأن قليلًا حينما وجد كلاً من السيد كمال وزوجته مقبلين عليه وقد ارتسمت الابتسامة على وجهيهما، ومن بعدهم هند التي كانت تحمل رائد بين يديها، سلمت عليه وهي تنظر له نظرة عتاب على عدم إخباره لها ما كان ينويه في نفسه..

ثم قاما بتحديد موعد لزيارة أخرى يأتي عمار ومعه إحدى عماته وأولاد عمومته ليكتب الكتاب ويتم الزواج في أقرب وقت..

قام عمار وخلال أسابيع قليلة بتجهيز شقته وتجديدها على أكمل وجه ثم حجز قاعة كبيرة وأقام فيها الزفاف الذي حضره أولاد عمه غلاب وبعض عماته وحسام وعائلته والشيخ حازم والشيخ سلامة، كان الجميع سعيد لعمار وهند..

في هذه الأثناء كان رائد بحوزة جدته..

ومرت الليلة وأخذ عمار هند لإحدى السيارات التي كانت تنتظره أمام القاعة وغادرا إلى المطار لتجد هند نفسها مرة أخرى متفاجئة بحجز عمار لرحلة شهر العسل في إحدى القرى السياحية بالغردقة دون أن يخبرها..

ولكنها كانت في غاية السعادة بها..

كان عمار يفكر كثيرًا عن سبب سعادته بعد زواجه من هند، هل هو ذلك

الحب القديم فقط، أم شعوره بالمسئولية تجاهها هي وطفلها رائد بعدما حدث لوالده بسببه..

لكنه كان يردد في نفسه «وما المانع أن يكون السببان وراء سعادتي..»

انقضت أيام شهر العسل سريعًا وعادوا إلى شقتهم، لم تنتظر هند كثيرًا حتى طلبت من عمار أن يذهبا لمنزل والدها لتطمئن على رائد فوافقها وذهبوا إليه..

استقبلهم السيد كمال وزوجته بفرحة كبيرة وتناولوا وجبة الغداء سويًا وأخذ عمار يقبل في رائد كأنه يحاول تعويضه عما كان سببًا في فقدانه..

مرت الأيام وكل من عمار وهند مواظبان على الصلوات في وقتها وقيام الليل كل يوم، والنوم على وضوء، كان عمار يعرف أن هذا السبيل الوحيد لإضعاف قرينه من الجن وجعله تحت سيطرته وتحكمه..

وفي هذه الأيام قام عمار بإنشاء شركة مع أولاد عمه غلاب للتجارة في قطع غيار السيارات وأصبح يعمل ويتابع دراسته في آن واحد..

طلب من حسام أن يعاونه ويعمل معه فقبل حسام الذي كان هو الآخر يقترب من الزواج، لكن ينتظر التخرج وحصوله على البكالوريوس..

وبعد عدة أشهر رجع عمار من عمله ليجد هند في استقباله، فقام باحتضانها وتقبيل خدها سائلًا:

-أين رائد؟ لم لا أسمع صوته؟

أجابته قائلة:

-لقد نام منذ قليل..

قال لها:

-حسنًا، سأقوم بتغيير ملابسي وسأنام بجانبه قليلًا إلى أن تقومي بتحضير الغداء..

قالت له:

-حسنًا.. وبعد الغداء سينام أربعتنا بجانب بعض..

رد عمار:

-تقصدين ثلاثتنا؟

ثم صمتت وهو ينظر لها ثم اندفع نحوها وهو يقول:

-أنتِ تتحدثين بجدية، أليس كذلك؟

أخذ يصيح بجنون:

-سأكون أبًا.. سأكون أبًا!

وضمها بين يديه وهو يقول:

-الحمد لله.. الحمد لله..

*****

الفصل الثاني والعشرون

لغز الحلم القديم

كانت حياة عمار تسير على أفضل ما يكون، فهو يعمل مع أولاد عمه الذي ما زال يشعر أنه تسبب في موت والدهم، وزواجه من حبيبته هند بعدما فعله مع زوجها الأول رائد، ولكنه لم يفعل ذلك متعمدًا، بل كان كل ذلك على عكس إرادته..

وفي إحدى الليالي قام عمار مفزوعًا صارخًا صرخة أيقظت الجميع..

قامت هند على فورها وهي تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، تلتقط كوبًا من المياه من جانبها وتناوله لعمار.. الذي سمى الله وأخذ يشرب منه حتى هدأ قليلًا..

سألته هند:

-بماذا حلمت؟

قال لها:

-لا شيء، يبدو أنه مشهد من فيلم رعب رأيته قريبًا ووجدت نفسي فيه..

ثم طمأنها وعادا إلى النوم مرة أخرى، أخذت هند رائد وضمته إلى صدرها ليطمئن، في حين أدار عمار وجهه للجانب الآخر يفكر في الرجل المعلق في الغرفة المجاورة وقد رأى نفسه يقف أمامه حين فتح هذا الرجل عينيه لعمار وابتسم..

أخذ ذلك الكابوس يطارد عمار أكثر من مرة حتى أراد عمار أن يعرف ما حدث في الشقة قبل أن يسكنها هو ووالده.. ذهب عمار لجار له كبير في السن يسأله عن العائلة التي كانت تسكن في الشقة قبل شراء والده لها..

كان الرجل قد أخذ منه الشيب ما أخذ..

أجاب عمار بصوت ضعيف متقطع:

-لقد مرت أعوام كثيرة على ذلك، ما يزيد عن العشرين عامًا، لكن ما حدث في ذلك اليوم لا يُنسى، هذه الشقة كانت فارغة لا أحد يسكن فيها، كانت ملكًا لضابط شرطة..

صمت الرجل قليلًا ثم تابع..

-هذا الضابط كان يأتي إليها كل مدة.. يأتي بمفرده دائمًا، لا أتذكر أنه أتى بعائلته أبدًا.. وفي أحد الأيام لاحظنا جميعًا انتشار رائحة كريهة في العمارة.. واكتشفنا أن تلك الرائحة تنبعث من الشقة رقم ثلاثة.. لم يكن أحد منا قد لاحظ عودة الضابط في هذه الأيام، ولم يشعر أحد بوجوده.. حاولنا الاتصال به لأننا فسرنا وجود الرائحة بموت قط بالداخل أو فأر.. وعندما لم يجب أحد، قررنا كسر الباب، لنجد الضابط معلق من رقبته في إحدى الغرف في مشهد ترتعد منه الأبدان، علمنا بعد ذلك أنه فقد كلاً من

زوجته وإبنته في حادث سيارة قبل العثور على جثته بأيام قليلة.. يبدو أنه لم يحتمل ما حدث ولم يطق العيش بدونهم..

قاطعه عمار سائلاً:

-أرأيت ذلك بعينيك؟

أجابه الرجل:

-هذا السبب أني أتذكر كل ذلك بعد مرور تلك السنوات..

عاود عمار سؤال الرجل مرة أخرى بعد تيقنه أنه عرف من يكون ذلك الضابط..

-أتتذكر اسم ذلك الضابط؟

صمت الرجل قليلًا ثم أجاب:

-نعم، اسمه عصام..

شكر عمار الرجل وهبط إلى الشقة وهو يربط كل الأحداث ببعضها..

الآن يعلم أن الشقة بها لعنة منذ البداية، وأن هذا الضابط هو نفسه الرجل الذي ذهب للشيخ سلامة يريد إيقاف قرينه، ولكنه في الأخير استسلم لوسوسة قرينه وانتحر..

وبعد موته قام والد عمار بشراء الشقة من ورثته بدون أن يخبره أحد بما حدث فيها..

لم يخطر لعقل أحد، أن قرينه ما زال يسكن فيها..

القرين الذي مرت عليه سنوات وهو يجلس في ركن هذه الغرفة، يضم قدميه بيديه إلى صدره، ينظر لطيف صاحبه الذي يتدلى من رقبته بحبل كذبيحة تتأرجح للخلف وللأمام..

تعابير وجهه جامدة كجماد الأشياء حوله، غارق في السكون يبدو كمن

maktabbah.blogspot.com

جلس يمارس اليوجا وبقي في جلسته لسنوات..

من يراه هكذا يظن أنه نادم على نجاح مهمته وحث صاحبه على الانتحار..

لكنه كان في أوج سعادته وقتها حين رآه يسحب كرسيًا إلى منتصف الغرفة في خضوع واستسلام، يعقد الحبل بيديه في قطعة حديد مثبتة بالسقف ومن ثَم يدخل رأسه في نهاية الطرف الآخر الذي جهزه ليكون مثل طوق نجاة، نعم ظن أنه طوق نجاة من تلك الحياة البائسة التي يعيشها..

لم يعد يحتمل العيش مع عواقب ما فعل، قد دله الصوت بداخله على ذلك..

قد رأى أن كل الطرق تؤدي إلى الموت..

ورأى في الموت كل راحة..

كان قد اتخذ قراره بالاستسلام في هذه الحرب، القائمة بين بني جنسه وجنس صاحبه الذي ينظر إليه الآن..

الذي يبدو أنه يفتقده لكن لا، إنه لا يفتقد فيه إلا صحبته ومتعة الصراع الأبدي معه..

مرت كل تلك السنوات وهو جالس هكذا دون حِراك مثل أي قطعة أثاث صماء في الشقة..

يعيش بين الملاك الجدد دون أن يشعر به أحد، يرى ويتابع دون أن يتدخل..

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات
maktabah.blogspot.com

لم يذهب إلى المقابر حيث استقر جثمان صاحبه، بل فضّل بقاءه أمام الغرفة التي انتحر فيها يستنشق منها رائحة اليأس والاستسلام، ورائحة

النشوة والانتصار..

لقد كان يوم شعر فيه بزهو وفخر وعلو بنو جنسه الأقوياء على جنس البشر الضعفاء..

عرف الجميع من مكانه في ركن الغرفة..

سمع أحاديثهم، شاركهم في أوقات حزنهم وأفراحهم..

في أوقات كذبهم وصدقهم، حتى أوقات خداع بعضهم لبعض كان حاضرًا فيها دون أن يتدخل..

حتى سمع صوت بكاء طفل صغير ليلًا في الغرفة المجاورة..

كان يعلم سبب بكائه..

طفل يتيم مهمل لا يسمعه أحد ولا يعتني به أحد..

روادته نفسه أن يعود إلى سابق عهده كداعم وممهد للطريق ليس أكثر..

تردد كثيرًا قبل أن يتخذ قراره بالتدخل..

ولكنه في الأخير قد فعل، أراد أن يحفز صاحبه الصغير من بني جنسه أن يكشف نفسه في أحلامه ويلهو معه ليهون عليه وحدته تلك..

وقد فعل، أخذ يعطيه الدروس ليكرر الصغير من بني جنسه تجربته الخاصة مع صاحبه من جنس البشر..

هبط عمار مهرولًا من شقة جاره المسن وقال لهند سنقوم بالانتقال إلى شقة غير هذه..

قالت هند:

-أنا أريد هذه الشقة..

قال لها:

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

-علينا مغادرة هذا المكان الآن وسأشرح لك كل شيء فيما بعد..

*****

كلمة الكاتب

نحن في زمن أصبحت فيه الشياطين تعيش بيننا، لم تعد تكتفي بالاختباء بداخلنا، فكم منا بعدوا عن الدين ولا يعرفون عنه شيئا.

لا ينبغى أن تلقي كل اللوم على الحياة وأنها لاهية..

لكن كن متيقنا أن لنا عدو يفعل ما بوسعه ليثبت وجهة نظره ووعده أنه أفضل من ذرية بني آدم..

لم نكن نسمع كثيرًا عن الأب الذي اغتصب أو قتل أولاده، بنظرك من فعل ذلك، الأب أم الشيطان بداخله؟

لم نكن نتخيل أن أمًا تحث ابنتها على ممارسة الرذيلة لكسب المال، من فعل ذلك، الأم أم الشيطان بداخلها؟

هل سمعت عن الموظف المرتشي والسارق والمواطن الكاذب وشاهد الزور؟ كل هؤلاء يفعلون ذلك بإرادتهم أم هم كعرائس ماريونت في أيادي شياطينهم؟

الأمثلة كثيرة لجرائم لم نكن نتخيل حدوثها يومًا، لكن أصبحنا نسمعها كل يوم وتعودنا عليها..

كل ما سبق نتيجة للبعد عن ديننا وربنا ضعفنا فتحكم فينا من هم أضعف منا..

لا مفر منهم إلا بالرجوع لربنا وعبادته حق العبادة.

لا ملجأ إلا عنده، ولا منجا إلا به، ولا حياة إلا في طاعته.

مكتبة بنت الحصريات
maktabah.blogspot.com

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr